

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٤)	شعبان المعظم ١٤٣٣ ﻫ
العدد السابع	يوليو ٢٠١٢ م

المشـرف العام

عبـد اللّٰه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	صـوت الأمـــة بی ١ / ١٨ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التالیف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

إلى التطبيق والتنفيذ

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

لا شك أن الاجتماع و التشاور و تبادل الآراء، كل ذلك له ضرورة و أهمية في حل المشاكل و فك النزاعات و توحيد الكلمات و التوصل إلى النتائج الإيجابية في القضايا المصيرية. و يكفي لإثبات ضرورته و أهميته ثناء الله على الأمة بالإشارة إلى هذه الصفة، فقد قال الله تعالى في مدح المؤمنين: {و أمرهم شورى بينهم — الشورى: ٣٨} و بمجرد ورود هذه الكلمة في هذه السورة جاءت تسميتها بهذا الاسم إيذانا بأهميتها و ترغيبا للعباد في اتخاذها و الالتزام بها، و تأكدت أهميتها أيضا بصدور الأمر الرباني للنبي الكريم صلوات الله و سلامه عليه بذلك في قوله: {و شاورهم في الأمر — آل عمران: ١٥٩}.

و انطلاقا من هذا المبدأ تقوم المؤسسات و الإدارات المختلفة بعقد الندوات و المؤتمرات و الاجتماعات بين حين و آخر، و طرح موضوعات ترى أنها تستحق الدراسة و العناية و الاهتمام، على رجال العلم و الفكر و البحث و النظر، ليدلوا بدلوهم، و يتخلصوا إلى ما هو الحق و الصواب في القضية قيد الدراسة.

و قد أثمرت كثير من هذه الندوات و المؤتمرات، و آتت أكلها بإذن ربها، و انتهت إلى أفكار و آراء و نتائج و توصيات أسهمت في دفع عجلة الرقي و التقدم و النهضة إلى الأمام في ميادين مختلفة، كما قامت بدورها في حل الخلافات و درء النزاعات و تأليف القلوب لأطراف و جماعات متناحرة، بإذن الله و توفيقه.

إذن، هذه المؤتمرات و الندوات وسيلة لا غاية، فهي ليست مقصودة بذاتها، و إنما تأتي نتيجة للشعور بمشكلة قائمة تتطلب الدراسة الجدية و التفكير السليم من أهل المعرفة و الخبرة

وأصحاب النظر والتجربة، كما تهدف هذه المؤتمرات إلى دراسة الموضوعات ذات الصلة بالعلم أو الدعوة أو المجتمع وما إلى ذلك. فتسهم أبحاثها ومقترحاتها وتوصياتها في الإصلاح والتغيير والتنشيط وإثارة الهمم، وفتح آفاق جديدة وميادين واسعة للعمل والإنتاج والعطاء.

ومن نافلة القول أن أشير إلى أن هذه الاجتماعات تعقد بميزانيات ضخمة وبجهود مضنية، فهي تدار بأموال الشعب، سواء صرفت هذه الأموال من قبل الحكومات، أو التقطت عن طريق التبرعات، حتى ولو تم عقدها على نفقة فاعل خير خاص. والقائمون عليها يبذلون من أوقاتهم الثمينة وجهودهم الكبيرة الشيء الكثير حتى يتم عقدها من غير خلل ولا نقص ولا تفريط.

وقد طرأت أشياء على هذه المؤتمرات والندوات أو صاحبتها، كادت أن تزلها عن أهدافها، أو تقلل من قيمتها، أو تفقدها روحها ومغزاها، ومع كثرة هذه الأشياء الطارئة عليها نراها أنها ترجع إلى أصل واحد، وهو اعتبارها غاية لا وسيلة.

فنرى سلسلة من الاجتماعات والمؤتمرات تعقد بكل دعاية واهتمام ثم تنتهي، دون أن تقدم شيئا أو تؤخره، أو تزيد في شيء أو تنقص منه، إنما هي جلسات وكلمات، ومقالات وتوصيات، وتصوير للمشكلة بكثير من المبالغة والإفراط والتهويل، وإلقاء اللوم على هذا وذاك، وسلسلة من المقترحات بأسلوب أخاذ، تنشر في وسائل الإعلام بعناوين بارزة وكلمات مؤثرة، ثم يأخذ الموضوع سبيله إلى الملفات على خطى ما سبق من الموضوعات، ولا تكاد تسمع له ذكرا على ألسنة المنظمين ولا الباحثين والمفكرين، فكل منهم قضى ما عليه من العمل التنظيمي والتنظيري، أما التنفيذ والتطبيق فهو على الآخرين، ولا ينبغي تحميل المنظمين والباحثين كل المسؤوليات. فكأنه نسي أو تناسى هؤلاء وأولئك أن النتائج والتوصيات هو حصاد هذا العمل، وحصيلة تلك الجهود، ومكسب تلك المبالغ الهائلة التي

خصصت لذلک، وإن ترک الموضوع المطروح طوق الإهمال والنسيان بعد بذل كل هذه الجهود والأموال والأوقات يعني إهدارها وتخييب آمال الأمة عليها، فهي في أمس حاجة إلى تلک الأموال وتلک الأوقات وتلک الجهود للمضي قدما في مجالات التعليم والـدعوة والصحة والبحث والتحقيق وما إلى ذلک. فهناک كثير من المشاريع من هذا النوع لا تجد سبيلها إلى التنفيذ لقلة الوسائل والإمكانيات ولندرة الكوادر المؤهلة والكفاءات المطلوبة.

إن الرؤية الشرعية للموضوع تحتم علينا التنبيه على أن ديننا دين العمل، وهو يحث على العمل والتنفيذ والتطبيق، ويحذر عن الكلام المجرد والقول المحض الذي لا يصاحبه عمل أو لا يعقبه تطبيق، {يا أيها الذين آمنوا الم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - الصف: ٢–٣}

{أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون —البقرة: ٤٤}.

{وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه —هود: ٨٨}.

ومن هذا الباب إرشاده صلى الله عليه وسلم لإطالة الصلاة وتقصير الخطبة في قوله: "إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحرا". (صحيح مسلم)

وأشار العلماء في تعليل ذلک إلى أن الخطبة قول والصلاة عمل، فالحديث يحث على إطالة العمل وإكثاره وتقليل القول واختصاره. ويصف الملتزم به بالفقه، والعكس بالعكس.

أما الذين يكتفون بالقول عن العمل فأمرهم أدهى وأمر:

"أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت وفت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال خطباء أمتک الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به". (رواه البيهقي بسند حسن)

وكثرة الكلام والقيل والقال مكروه مطلقا عند رب العالمين، كيف وإذا اقترن بإضاعة المال، كما هو الأمر في الموضوع الذي نحن فيه:

"إن الله حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات".

وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال". (متفق عليه)

لقد تراكمت أبحاث المؤتمرات وتوصياتها، ونتائجها ومقترحاتها في كل موضوع وفي كل فن، وتتضخم يوما بعد يوم، مع بقاء كثير من القضايا والمشاكل المطروحة المدروسة كما هي أو أعقد، ونحن مسرورون مستمرون في عقد المؤتمرات والندوات واحدة تلو أخرى، معتبرين عقد المؤتمر نفسه إنجازا وإنتاجا.

إنني لا أعمم القول، فهناك مؤتمرات وندوات واجتماعات كتب لها النجاح والتأثير، وظهرت لها ثمرات، وأسهمت في تغيير المسارات وتصحيح المفاهيم وتفنيد المزاعم. وتسببت لجلب الخير والسعادة والإصلاح والنهضة. فلتكن هي الأسوة لنا، ندارس سر نجاحها، وسبب تأثيرها. ثم ننطلق من نتائج هذه الدراسة، ونتفادى تلك الأخطاء والملاحظات المحسوبة علينا في هذا الطريق، مع تصحيح تصورنا لهذه المؤتمرات بأنها وسيلة وليست غاية، وأن التطبيق والتنفيذ هو الأهم وهو المطلوب والمقصود وهو الهدف الأكبر والغاية العظمى والثمرة والحصيلة. وكل ما يسبقه من الجهود والمساعي فهي سبيل إلى تلك الغاية ووسيلة إلى هذا الهدف. وكذلك ليكن في حسباننا أيضا أن العبرة بالكيفية لا بالكمية، فقليل نافع خير من كثير ضائع. ولنتجنب عن الإعادة والتكرار، ولنستفد من أعمال الآخرين وتجاربهم، ولا يبدأ كل منا من الصفر.

والله من وراء القصد، والهادي إلى سواء السبيل.

***

من تاريخ المدارس

المدارس العربية في الهند

الدكتور مقتدى حسن الأزهري رحمه الله

أهمية التعليم:

لا شك أن الانسان يمتاز عن غيره من الحيوان بالعقل والتفكير، فإذا تجرد عن هذه الميزة انحدر إلى منزلة البهائم، ولم يبق بينه وبين البهائم فرق ما. وكما أن الانسان يمتاز عن غيره من الحيوان بعقله وتفكيره فكذلك يحصل التمايز بين إنسان وآخر، وبين أمة وأخرى بهذه الميزة الطبيعية، أي بالعقل والتفكير.

والفرد الذي يحسن استخدام هذه المنحة الإلهية بعد تنميتها وتدعيمها بالتعليم والتثقيف يكون –ولابد– أحسن من الذي لا يستطيع ذلك. وكذلك الأمة التي تستخدم العقل والتفكير وتبذل الجهود في سبيل العلم والثقافة تفوق غيرها من الأمم وتتقدم في مجال الحياة. ولذلك نرى أن الاسلام استنهض الهمم وشجع الناس على الاستمرار في سبيل البحث العلمي والتزود بالعلوم والمعارف التي تهدي إلى السعادة الأبدية وتساعد في التغلب على مشاكل الحياة.

والإنسان في إقباله على نظرية وفي اعتناقه دينا من الأديان يندفع بهذا العلم والتفكير، فإذا كان علمه صالحا قويا يستطيع معرفة ما يقبل عليه من النظريات وما تحتوي عليه من المفاسد والمصالح، وإذا كان علمه ناقصا لا يستطيع التميز ويندفع إلى الوجهة التي تبدو له بدون المبالاة بالنتائج، وهكذا تكون حال الأمة، فإنها ليست إلا مجموعة من الأفراد.

والتعليم يزداد أهمية أكثر إذا نظرنا إلى ناحية تأثيره في العقول والأذهان، فمن الواضح أنه لا توجد في العالم دراسة تكتفي بإعطاء معلومات في الموضوع فقط، بدون أن يؤثر في التفكير والاتجاه ويلونهما بلون خاص، وقد ثبت أن وراء كل نظام دراسي إطار فكري ومنهج

معين للتفكير، وله هدف يسعى لتحقيقه. وبعد تطور الدراسة وتقدمها في العصر الحالي تستخدم الدراسة لصياغة الأذهان والأفكار، ولإعداد نوع معين من الانسان يقوم بأداء المسؤوليات التي تناط به في المستقبل. ولذلک نرى أن المذاهب والنظريات لا تنشر اليوم بالدعوة والتبليغ كما تنشر بالسيطرة على النظام الدراسي وبالتغلب على وسائل الاعلام والثقافة. فالدراسة تستخدم كآلة لتحقيق أهداف معينة، والعلماء يساعدون في تنفيذ البرامج التي تخطط وتوضع لخدمة فكرة معينة.

وبعد هذه الإشارة العابرة ألقي نظرة على المدارس وعلى مناهجها الدراسية حتى يمكن لنا معرفة الدور الذي تلعبه هذه المدارس، والإلمام بما تحتاج إليه في هذا العصر.

إن المراد من "المدارس العربية أو الدينية أو الإسلامية" في الهند هو المدارس التي تكتفي بدراسة القرآن والسنة واللغة العربية والفقه والأصول والتاريخ والمنطق والفلسفة. وهذه المدارس أهلية لا تعترف الجامعات الرسمية بشهاداتها ولا توظف متخرجيها. وهي تمول من قبل الشعب المسلم بالتبرعات والأوقاف. وتنشر في أقطار الهند الواسعة، وعددها كبير بحيث يتعسر الإحصاء.

وبجانب هذه المدارس العربية مدارس وكليات وجامعات رسمية، تمشي وفق النظام الذي تعترف به الحكومة، وتحصل منها على مساعدات تكفي لسد نفقتها. وهذه الكليات والجامعات تهتم بالعلوم العصرية دون الإسلامية، اللهم إلا بعض الجامعات التي فيها قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية. ثم إن الطلاب في هذه الكليات والجامعات يتلقون العلوم في مدرجات الدرس، وليس لهم نظام خاص للتربية الخلقية والسلوک الاجتماعي القويم، ولا عناية بنشر الدعوة الإسلامية بين المسلمين وغيرهم، وهذا فراغ في الحياة الدينية للمسلمين الذين يتلقون تعاليمهم في المعاهد العلمية الحكومية.

ولا شک أن وجود هذه المدارس بجنب الكليات والجامعات الرسمية مبني على نظرية الثنوية في التعليم، أي التفريق بين العلوم بجعل بعضها دينيا والبعض الآخر دنيويا.

ولكن الذي يبرر وجودها هو الحفاظ على الدين الإسلامي والعناية بنشر دعوته والرد على أعدائه. فلولا هذه المدارس العربية لاختفى تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في الهند، وتعطل النشاط الذي نراه اليوم في مجال الدعوة والتبليغ. والجهود التي تبذل المدارس العربية في الهند لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية ولتوجيه الشعب المسلم توجيها دينيا جهود كبيرة مشكورة. وبفضل هذه الجهود صمد المسلمون في الهند أمام الاستعمار الانجليزي الغاشم، وأمام المحاولات الأخرى التي حاولت النيل من الإسلام وأهله، ونجحوا في المحافظة على دينهم ولغته العربية وعلى ثقافتهم وتفكيرهم. ومن المؤكد أن الدور الرئيسي في الحفاظ على العلوم العربية كان للمدارس، وكان المسؤولون عنها ينتمون إلى الطبقة المحافظة في البلاد، التي تكره الغرب وحضارته أكثر من الآخرين، فتحفظوا في أمر تطوير مناهج التعليم وجعلها ملائمة للعصر والظروف، حتى إنهم لم يأخذوا من الغرب ما تأكد نفعه وتبين خيره. إنهم كرهوا كل ما ينتمي إلى الغرب خيرا كان أو شرا، ولأجل ذلك بقيت مناهج الدراسة على الطريقة التي جرت بها قبل التطور التعليمي في العصر الحديث، فكأنهم كانوا يعيشون بذلك في القرون الوسطى. وبحيث تجمد المنهج الدراسي في المدارس العربية جاءت نقائص ومضرات في التعليم الديني وفقد هذا التعليم كثيرا من الميزات التي كانت تبرر وجود المدارس المنفصلة عن الجامعات والكليات الرسمية في الهند.

قد مر المنهج الدراسي بمراحل مختلفة في الهند، فكان يجري فيه تعديل وتغيير — في الكتب المقررة وفي طريقة الدراسة — حسب الظروف والمتطلبات إلى أن وصل إلى الصورة التي نراها اليوم، وهذه الصورة قد تمت على يد الملا نظام الدين، وإليه نسب المنهج فقيل "المنهج النظامي".

والملا نظام الدين هذا هو ابن الملا قطب الدين الشهيد (١١٠٣هـ) من بلدة سهالي قرب لكنؤ. وكانت أسرة الملا قطب الدين الشهيد أسرة علمية بارزة عريقة في العلم والثقافة.

والجدير بالذكر أن العلم قد استقر في هذه الأسرة مدة ثلاثة قرون تقريبا، تلقاه جيل بعد جيل بدون انقطاع. وبعد أن سطع نجم هذه الأسرة في السماء العلمي للهند لاحظ علماؤها أن المنهج الدراسي المتبع في المدارس ليس نافعا وملبيا لحاجات العصر، وهناك قام الملا قطب الدين بوضع منهج دراسي جديد، فألغى منه الكتب العديدة التي كانت من فن واحد، واكتفى بكتاب مختصر جامع حتى يتسنى للطالب الاطلاع على مسائل الفن جميعها. ثم لما جاء ابنه الملا نظام الدين أدخل في هذا المنهج تعديلا يسيرا، فضم إليه كتابا واحدا من كل فن، فكان الطالب يدرس حسب هذا المنهج كتابين في كل فن.

وكان الملا نظام الدين المتوفى سنة ١١٦١هـ عالما كبيرا ذا شهرة ومكانة علمية مثل أبيه. وقد ترك مؤلفات عديدة في المنطق وأصول الفقه، فشرح مسلم الثبوت لمحب الله البهاري، والمنار، وعلق على الصدرا، والشمس البازغة، والحاشية القديمة. ولكن شهرته الأصلية قد جاءت بسبب المنهج الدراسي الذي قام بوضعه أبوه الملا قطب الدين، ولكنه اهتم به ونفذه حتى اشتهر باسمه، ولا يزال معروفا بـ "الدرس النظامي".

ومن خصائص هذا المنهج أنه يتضمن عدة مؤلفات لعلماء الهند مثل نور الأنوار والسلم والمسلم والرشيدية والشمس البازغة، بينما كان المنهج السابق خاليا تماما من مؤلفات العلماء الهنود.

وأنه يتضمن من مؤلفات كل فن أصعبها.

وأنه يتضمن كتب المنطق والفلسفة أكثر من أي علم آخر.

وأنه لا يتضمن من علم الحديث إلا كتابا واحدا وهو مشكاة المصابيح.

وأنه لا يتضمن إلا على جزء ضئيل من الأدب العربي.

ويبدو أن واضع هذا المنهج كان يهدف من وضعه إلى أن تحصل للطالب قدرة على المطالعة حتى يتمكن بعد التخرج من فهم أي كتاب لأي فن، ولم يكن له سوى ذلك قصد آخر.

قد أضيف إلى المنهج النظامي مؤلفات عديدة فيما بعد وخاصة في علم المنطق، ولكن الاسم القديم ما زال يطلق على المنهج المذكور.

وهذا المنهج الدراسي النظامي قد لقي قبولا لدى العلماء وانتشارا في أقطار الهند، فتمسكت به المدارس وسارت عليه ناسية الحقيقة القائلة بأن المنهج الدراسي لابد وأن يكون ملبيا لحاجات العصر، متطورا مع الزمن، ملائما للأحوال والظروف محققا للأهداف التي وضع لأجلها.

وإلى الماضي القريب كانت معظم المدارس الهندية متمسكة بالمنهج النظامي، سارية وفق النظام الذي وضعه صاحب المنهج إلا في جزء يسير.

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ظهر اتجاه لإجراء التعديل والتغيير في هذا المنهج، فقامت جماعة من العلماء بوضع المنهج الجديد الملائم للظروف والأحوال، وبإنشاء معهد علمي ينفذ هذا المنهج، فنشأت ندوة العلماء ونشأت دار علومها لتسير حسب النظام الدراسي المتطور.

وبعد إنشاء دار العلوم ونجاحها في خطتها الدراسية ظهرت محاولات أخرى لتغيير المنهج الدراسي في المدارس العربية الأخرى، ولكنه كان تغييرا جزئيا يسيرا لم يأت بنتيجة مختلفة كثيرة. مع أن الظروف تغيرت كثيرا وظهرت اتجاهات واحتياجات جديدة لتعديل المنهج الموجود.

ومن المدارس التي تمسكت بالنظام الدراسي الجديد دار العلوم ندوة العلماء بلكنئو والجامعة السلفية ببنارس، وبعض المدارس الأخرى بالهند. أما المدارس الأخرى فما زالت متمسكة — جزئيا أو كليا — بالمنهج الدراسي القديم، ولا يبدو أن المسئولين يتفكرون جديا للتغيير والتعديل.

نقائص المنهج النظامي:

من الواضح أن التعليم يهدف إلى أمرين، الأول أن تحصل للطالب معرفة مبادئ الفن ومسائله. والثاني أن يتعود الطالب على تدقيق النظر ويستطيع مطالعة الكتب والاستفادة منها في حياته العلمية المقبلة.

ومنهج الدراسة في المدارس العربية بالهند تركز اهتمامه حول الأمر الثاني، بينما يهمل الأمر الأول. فنرى أن المتخرجين في المدارس العربية يتمتعون بقوة المطالعة والفهم وتدقيق النظر في المسائل، ولكن مع ذلك لا يتم لهم الوقوف على مسائل الفن والكمال فيه. ونرى أن ذلك النقص قد جاء بسبب أن واضع المنهج ومن أجرى فيه التعديل لم يعنوا إلا بالكتب التي تهتم بإثارة الشبهات وردودها ولا تعطي المبادئ والمسائل نصيبها من الاهتمام والعناية. وعلى سبيل المثال نذكر كتاب شرح الملا جامي على كافية ابن الحاجب، فالطالب يدرس الكافية في سنة، وشرح الملا في السنة التي تليها، ولكنه بهذه الدراسة لا يحصل على شيء جديد في النحو، فإن شرح الملا لا يضيف مسألة نحوية إلى مسائل الكافية، بل يشرح المسألة ثم يدخل في الإيراد والإجابة على أسلوب لا يوضح صورة المسألة بل يعقدها ويأتي بالفروض البعيدة فيها.

ومن نقائصه أن الكتب التي تقررت في علم المنطق هي كتب لا تقتصر على مسائل المنطق بل تتناول مسائل الأمور العامة ومسائل الفلسفة الأخرى. وهذا يشوش على الطالب فكره ويعوقه عن التحصيل، وبصرف النظر عن قلة جدوى علمي المنطق والفلسفة في هذه الأيام.

ومن نقائصه أن نصيب اللغة العربية وآدابها في هذا المنهج ضئيل جدا، فالطالب لا يستطيع فهم لغة القرآن فهما جيدا، ولا يتذوق أسلوبها ولا يكتنه أسرارها، وبالتالي لا يستطيع فهم القرآن والسنة وفهم الكتب التي تتناول التفسير والحديث.

ومن نقائصه أنه لا يهتم بالقرآن حق الاهتمام، فمن الكتب المقررة في علم التفسير هو أسرار التاويل للقاضي البيضاوي وتفسير الجلالين فقط. والكتابان معروفان لدى أهل العلم، واتجاه مؤلفيهما لا يكفي لمعرفة أسلوب القرآن والاطلاع على موضوعاته وتعاليمه. والطالب حينما يدرس هذين الكتابين لا يستطيع أن يعرف نواحي الاعجاز القرآني العديدة وما يتضمنه من البلاغة.

ومن نقائصه أنه يتضمن كتب الفنون المختلفة، لا يساعد الطالب في التخصص في علم أو علمين، وهذا يؤدي إلى قلة العلماء المتخصصين في العلوم الإسلامية.

ومن نقائصه أنه يخلو تماما من كتب الجغرافية والتاريخ الإسلاميين، وكذلك لا يهتم بالعلوم العصرية التي صارت موضع اهتمام الباحثين في العصر الحالي.

ومن نقائصه أن المنهج لا يدرس اللغات العالمية من الفرنسية والانجليزية والألمانية وغيرها.

وليس لهذه المدارس مورد ثابت للدخل، بل هي تعتمد على التبرعات وعلى المساعدات التي تحصل من الشعب المسلم كما أشرنا فيما سبق.

وعدم استقرار الحالة المالية سبب رئيسي لما نرى من الجمود في هذه المدارس بصدد توسيع نطاق الدراسة والمشاريع الدراسية والثقافية الأخرى.

ثم إنه ليس بين هذه المدارس تنسيق وتنظيم في الخطط العملية، ولا وحدة في المناهج، ولا تبادل ثقافي في المجال الدراسي والتوجيهي، ولا مراعاة لمصالحها ومصالح الأمة الإسلامية. فكل مدرسة تحاول أن تكون مستقلة في خططها، حرة في مناهجها، سارية وفق نظامها الذي رسمته لها. وكذلك تحاول أن تتكفل بالدراسة في جميع مراحلها من الابتدائية والثانوية والعالية، مهما تتعرض لقلة الوسائل المادية وعدم وجود المدرسين الناجحين. ولا شك أن عدم التنسيق بين المدارس ومحاولة كل منها الاستقلال في النظام الدراسي يضاعف التكاليف المالية ويسبب ضياع الأوقات للطلاب، ويقلل فوائد الجهود التي تبذل في سبيل نشر العلوم الإسلامية والدعوة الدينية.

ونرى أن هذا الانقسام والتكتل في المجال الدراسي قد نشأ بسبب تكتل الأحزاب الدينية بالهند، فالمسلمون من أهل السنة فيها ينقسمون إلى طوائف عديدة، منها الحنفية والشافعية وأهل الحديث، والحنفية ينقسمون أيضا إلى طائفتين. ولكل من هذه الطوائف

آراء ومعتقدات خاصة، وهي التي تمنع من توحيد النظام الدراسي أو التقريب فيما بين المناهج المختلفة.

ومن ناحية أخرى فالاختلاف في المناهج الدراسية يؤدي إلى الاختلاف والابتعاد في مجال الحياة. فالذي درس وتخرج في مدرسة يفضل بطبيعته وباتجاهه الذي تكون أثناء قيامه في المدرسة الانعزال والابتعاد عن المتخرج في مدرسة أخرى، وهذا الاتجاه هو الذي يساعد في ازدياد هوة الخلاف ويقضي على روح الائتلاف والمودة. ومعظم المشاكل التي يواجهها مسلمو الهند ترجع إلى هذا الضعف، أي الطائفية والتحزب.

ثم إن هذه المدارس تجري على نظام الثنوية في التعليم، فتسمي بعض العلوم دينية وتهتم بتدريسهما، وتسمي البعض الآخر دنيوية وتهمل العناية بها ودراستها. والمسؤولون عن هذه المدارس يجهلون مضرة هذا التقسيم ولا يعرفون أنه ينبني على النظرية القائلة بالفصل بين الدنيا والدين، إنهم يغفلون عن روح التعليم الإسلامي وما يهدف إليه من السمو والكمال والسعادة البشرية. إن الإسلام لا يقر التقسيم للحياة الإنسانية بين الدنيا والدين، بل إنه يذهب إلى أن تكون الحياة كلها خاضعة لتعاليم الدين، والعلوم كلها مسخرة لتنفيذ أوامر الله وتقوية صلة العبد مع ربه، وعلى ذلک يجب إلغاء تقسيم العلوم بين الدينية وغيرها في المدارس العربية التي أنشئت لخدمة الإسلام ودعوته.

وبعد هذا الشرح الموجز لمشاكل المدارس أود أن أشير إلى أن أمر الإصلاح ليس سهلا جدا أو صغيرا يتم في يوم وليلة، بل لابد من التخطيط المحكم السابق والخطوة الحازمة والبرنامج الشامل للإصلاح والتنفيذ، حتى يحل النظام الجديد موضع النظام القديم؟.

(مجلة الجامعة السلفية: شوال ١٣٩٦ = أكتوبر ١٩٧٦)

***

دفاع عن السنة

الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم في شبه القارة الهندية الباكستانية

(٢)

الأستاذ سهيل حسن عبد الغفار

المبحث الثالث: حركة إنكار حجية السنة:

إن الاستعمار الإنجليزي من أهم أسباب نشأة فتنة إنكار السنة في شبه القارة، وحاول المستعمرون بشتى الوسائل تمزيق صفوف المسلمين وتشتيت وحدتهم، ولا ريب أنه نجح في تحقيق كثير من أمنياته، وأن القاديانية والبريلوية والإلحادية ومنكري السنة كلها نشأت تحت رعاية الاستعمار لتمزيق الصف الإسلامي الموحد ونشر النفرة والكراهية بين المسلمين، ولم يتأخر أصحاب هذه الأفكار الزائغة عن تقديم أي خدمة لأسيادهم المستعمرين، وكذلك لم يألوا أي جهد في تحريف معاني الكتاب والسنة لتأييد أهوائهم، ما أداهم إلى رفض السنة –جزئيا أو كليا– التي هي أحد المصدرين الأساسيين للإسلام.

وفيما يلي نذكر بعض خدام المستعمرين والمستشرقين من أعداء الإسلام الذين حرفوا معاني الكتاب والسنة، وأنكروها إذ لم توافق عقولهم ولم تناسب أذواقهم.

١– الميرزا غلام أحمد القادياني (ت ١٩٠٧م):

هو المتنبئ الكذّاب المعروف، وكان مواليا للحكم الإنجليزي، فأفتى بعدم جواز القتال ضد الاستعمار، وأنكر الجهاد بالسيف، وطعن في الأحاديث الواردة في فضله، وكل ذلك خدمة للاستعمار والمستعمرين. وأنكر رفع عيسى عليه السلام ونزوله في آخر الزمان، وحرف الأحاديث الواردة في هذا الشأن، ثم ادعى النبوة، وأنكر الأحاديث الواردة التي كانت تفند دعواه الباطلة، وتكشف عن زيغها وانحرافها.[1]

٢– السيد أحمد خان (ت ١٨٩٨م):

هو مؤسس مدرسة في "على گڑه" وصارت فيما بعد جامعة على گڑه الإسلامية –التي هي الآن إحدى الجامعات العصرية الكبيرة في الهند– وهو أحد مشاهير الشرق كما وصفه

[1] صلاح الدين مقبول أحمد، زوابع في وجه السنة قديما وحديثا، دار ابن الأثير، الكويت، ١٤١٤هـ، ص ٩٢.

أحمد أمين: "وهو في الهند أشبه شيء بالشيخ محمد عبده في مصر، بعد مفارقته للسيد جمال الدين وعودته من نفيه، والإصلاح عندهما إصلاح العقلية بالتثقيف والتهذيب"[١]، وقد ألف السيد أحمد خان تفسيرا، واختار فيه منهج الطبيعة والعقل، وحكم عقله، وأول النصوص التي لم توافق طبيعته وعقليته تأويلا لا تتحمله اللغة العربية وقواعدها، وأدى ذلك إلى إنكار المعجزات والأحاديث النبوية الصحيحة التي خالفت عقله حسب زعمه، فقبل ما شاء منها ورفض ما شاء.[٢]

٣-چراغ على:

تأثر چراغ على بأفكار السيد أحمد خان لمشاركته معه في ترجمة بعض الكتب، وكانت له مراسلات مع الميرزا القادياني، وساعده هو أحمد خان في تأليف كتابه براهين أحمدية عام ١٨٧٩-١٨٨٤م. وبهذا تعرف نزعته العقدية والدينية بسهولة، فإنه كان يرى أن الحديث غير ضروري من الناحية العقدية، كما قال بضرورة كتابة بعض أجزاء القانون المدني الإسلامي من جديد.[٣].

٤-عبد الله چكڑالوى (١٩١٤م):

قد بدأ الچكڑالوى نشاطه الهدام في تأسيس حركة إنكار السنة في لاهور عام ١٩٠٢م بعد تأثره بالسيد أحمد خان، ودعا أتباعه إلى إنكار السنة والاكتفاء بالقرآن، وسماهم أهل الذكر والقرآن، وصنف عدة كتب لترويج فكره الضالّ.[٤]

٥-محب الحق العظيم آبادي:

كان من زعماء حركة إنكار السنة ، وقد تأثر بأفكار السيد أحمد خان وعبد الله چكڑالوى، ثم ساعد الأخير في نشاطه وتأسيسه حركة إنكار السنة.[٥]

٦-أحمد الدين الأمرتسري (ت ١٩٣٦م):

لقد استفاد أحمد الدين من أفكار السيد أحمد خان وعبد الله چكڑالوى، وأسس جماعة "أمة مسلمة" وأصدر مجلة بلاغ، وله مؤلفات عديدة في ترويج أفكاره.[٦]

---

[١] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، طبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ١٢١.

[٢] صلاح الدين مقبول أحمد، زوابع في وجه السنة قديما وحديثا، ص ٩٤.

[٣] المصدر السابق، ص ٩٦.

[٤] المصدر السابق ص ٩٧، وانظر للتفصيل كتاب خادم حسين إلهي بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، مكتبة الصديق بالطائف، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٢٥-٣٢.

[٥] محمد لقمان السلفي، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا، طبعة سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص ٤٥٨، ٤٦١.

[٦] القرآنيون وشبهاتهم، ص ٣٣-٣٩.

٧-الحافظ أسلم الجيراجپوری (ت ١٩٥٥م):

لقد تأثر الحافظ أسلم بأفكار أحمد الدين وخاصة في مسألة حجب ابن الابن مع عمه، فأنكر السنة، وبدأ بالتأليف وألف كتابه تاريخ أمت، وله كتب عديدة، ويعتبر أستاذا لپرويز الذي تبنى أفكاره، وروّجها في باكستان.[١]

٨-غلام أحمد پرويز:

من زعماء طائفة منكري السنة في باكستان، حيث نظم جهودهم، وقام بنشاط واسع في المثقفين، ونشر كتبا كثيرة في إنكار السنة، وأصدر مجلة طلوع إسلام، وجعل مكاتب فكر تحت إدارته، وأطلق عليها اسم نوادي طلوع إسلام، وله تأليفات عديدة في نشر أفكاره الضالة المنحرفة.[٢]

أبرز شبهاتهم:

١- عدم كتابة الحديث في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عصر الخلفاء الأربعة.

٢- إن الصحابة أدركوا حقيقة نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة سننه، لذلك نهوا عن كتابتها.

٣- إن الأحاديث جمعت أول مرة بعد مائة سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد فقدت تلك المجموعات ثم جمعت من أفواه الناس في القرن الثالث.

٤- إن الأحاديث الموضوعة اختلطت بالأحاديث الصحيحة اختلاطا لا يمكن بعده التمييز بين الصحيح والموضوع.

٥- إن المعايير التي اختارها المحدثون لنقد الحديث لم تكن كافية لمعرفة الصحيح من المغشوش، لأنها كلها تدور حول نقد السند ورجاله، أما المتن فلم يحظ باهتمام المحدثين.

هذه هي بعض شبهاتهم التي يلوكونها بألسنتهم في أساليب مختلفة، وقد رد عليها علماء السنة وألفوا عنها مؤلفات أشبعت الموضوع بحثا وتمحيصا.[٣]

---

[١] المصدر السابق، ص٤١-٤٥.

[٢] المصدر السابق ص٤٧-٥٥، صلاح الدين، زوابع في وجه السنة، ص٩٩.

[٣] محمد لقمان، اهتمام المحدثين بنقد الحديث، ص٤٦٢-٤٦٧، وانظر للتفصيل: خادم حسن، القرآنيون وشبهاتهم، ص٢٠٧-٢٥٦.

رد شبهاتهم:

١–ما ذكره هؤلاء من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة أقواله "لا تكتبوا عني" فهو أمر مطابق للواقع في بداية عهد الإسلام، إذ كان القرآن غضا طريا، كما أن قلة الكتابة عند العرب لا يخفى أمرها على من اطلع على تاريخهم حينذاك، ولشدة الحذر والحيطة نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة أقواله، خشية لبسها بالقرآن، ثم أذن لهم في كتابتها حين أمن اللبس، لما صح من أمره بكتابتها لأبي شاه[1]. وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا اتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الرضا والغضب، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق".[2]

٢–إن من المعروف لدى أهل العلم بأن بداية تدوين السنة تعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه، مثل تدوينه الرسائل إلى الملوك والأمراء وتدوينه أنصبة الزكاة، ثم إن الصحابة أسهموا في تدوينها ولو بطريقة غير رسمية، كما أن عهد التابعين يزخر بالتدوين أيضا، وتدل الدراسات أن أول مؤلف منظم جمع السنة هو موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ) إمام دار الهجرة، ثم تتابعت التأليفات في السنة، فدون الإمام الشافعي المطلبي (ت٢٠٤هـ) منها في كتبه المتعددة من الأم والرسالة والمسند، وتبعه الحميدي القرشي (ت٢١٩هـ) بالتدوين أيضا في مسنده، ثم أعقبهما إمام السنة أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) بمسنده، والدارمي (٢٨٠هـ) بسننه، ثم جاء بعدهم من فحص السنة وميز صحيحها من سقيمها، وهذا ما قام به أصحاب الكتب الستة، فقد أبانوا في مصنفاتهم الصحيح من الحسن والضعيف ومن هنا قيل: أصح كتاب بعد كتاب الله هو صحيح البخاري (٢٥٦هـ) ثم جاء بعده تلميذه الإمام مسلم (٢٦١هـ) صاحب الصحيح، ثم أصحاب السنن الأربعة، وهم ابن ماجه (٢٧٣هـ) وأبو داود (٢٧٥هـ) والترمذي (٢٧٦هـ) والنسائي (٣٠٣هـ)، وهذا العرض يدحض فرية أولئك عن تأخير التدوين إلى القرن الثالث، رحمهم الله رحمة واسعة.[3]

---

[1] صحيح البخاري، كتاب العلم، الحديث برقم: ١١٢.

[2] سنن أبي داود، كتاب العلم، باب كتابة العلم، الحديث برقم ٣٦٤٦.

[3] انظر: خادم حسين، القرآنيون وشبهاتهم، ص٢٤١.

٣ – أما قولهم باختلاط الصحيح بالضعيف والموضوع بحيث لا يمكن التمييز بين الصحيح والسقيم، فهذا الكلام لا يصدر إلا ممن يجهل تاريخ الإسلام لمقاومة حركة الوضع في السنة، فلا يتصور صدور الكذب في عهده صلى الله عليه وسلم وفي زمن الصحابة، وهم الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة، يقول: "من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[١]، وفي آخر عهد عثمان رضي الله عنه تفرقت الأمة إلى فرق عديدة، ووجدت الخلافات السياسية والكلامية، فأخذ كل فرقة تضع الأحاديث في مناقب أصحابها وفي مثالب مخالفيهم، ثم دخل الساحة الزنادقة والقصاصون، وانضم إليهم المتعصبون للجنس والبلد، فاستحلوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستغلوا تلك الظروف المزعزعة لنيل مآربهم، وقد قاوم العلماء هذه الحركة الوضعية ووضعوا الأسس العلمية لفحص الحديث وتبيينه ومعرفة الصحيح من سقيمه، فمن تتبعها وأعانه الله انكشف له أمر تلك الأحاديث الموضوعة، ومن بين هذه الأسس المطالبة بالإسناد، وعرض الرواة على أصول الجرح والتعديل، والبحث عن عدالة وضبط الرواة، ثم البحث في مضمون الحديث وعرضه على الأصول الإسلامية الثابتة، يقول محمد بن سيرين: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم".[٢]

٤ – والناظر بتجرد وإنصاف، يجد أن المسلمين كما اهتموا بالأسانيد ودرسوها كما ينبغي، فقد اهتموا بالمتون ونقدوها ومحصوها، فكما وضع المحدثون شروطا لقبول الراوي وضعوا شروطا لقبول المروي، وهي شروط قبول المتن، وأن العلماء نقدوا متون السنة ومحصوها، واستدرك اللاحق منهم على السابق، وكانوا متجردين لله تعالى وللحق، خاصة أنهم علموا أن موضوع بحثهم إنما هي السنة المطهرة التي تمثل المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم.

فشرط العلماء في المتن أن يكون سالما من الشذوذ والعلة القادحة والإدراج والقلب والاضطراب والتصحيف والتحريف.

---

[١] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث برقم ١١٠.

[٢] صحيح مسلم، المقدمة، باب في أن الإسناد من الدين، الحديث برقم ٢٧.

فبعد أن يفرغ العلماء من دراسة الإسناد، ومعرفة أنه متصل، وأن كل راو في الإسناد متصف بالعدالة والضبط، فإنهم لا يكتفون بذلك، بل يتجهون إلى دراسة المتن ونقده، ليعرفوا هل به شذوذ، أو علة قادحة، وغير ذلك من أسباب القدح في المتن أم لا؟

فيبحث العلماء هل لهذا المتن الذي فرغوا من دراسة إسناده معارض من القرآن الكريم أو السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا، فإذا لم يجدوا للمتن معارضا قبلوه وعملوا به، وأطلقوا على هذا النوع من الحديث الذي لا معارض له "الحديث المحكم، أو محكم الحديث"، وأكثر أحاديث السنة كذلك، ولله الحمد والمنة. أما إذا وجدوا للمتن معارضا من القرآن الكريم، أو السنة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم، فإنهم يبحثون عن وجه للجمع بين النصين المتعارضين.

فإن أمكن الجمع بينهما — بوجه من وجوه الجمع المعروفة — صار الحديث مقبولا وعملوا به، ويطلقون على هذا النوع من الحديث: "مختلف الحديث". أما إذا لم يمكن الجمع بين النصين المتعارضين — بوجه من وجوه الجمع — فإن العلماء يبحثون عن التاريخ الذي قيل فيه كل نص.

فإن أمكن الوقوف على التاريخ وعرف المتقدم من المتأخر، صار المتأخر ناسخا للمتقدم. أما إذا لم يمكن الوقوف على التاريخ، فإنهم يصيرون إلى الترجيح، فإن أمكن الترجيح بين النصين المتعارضين — بوجه من وجوه الترجيح المعروفة — قبل الراجح وعمل به، وترك المرجوح، ويقال للراجح: المحفوظ، وللمرجوح: الشاذ. أما إذا لم يمكن الترجيح بين النصين المتعارضين، ففي هذه الصورة يتوقفون في قبولهما معا، وليس العمل بأحد النصين بأولى من الآخر، لأنه يستحيل أن يصدر الكلام المتعارض من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومع سلامة الحديث من الشذوذ، لابد أن يسلم من العلة القادحة والإدراج والقلب والاضطراب والتصحيف والتحريف، ليكون المتن صحيحا. [1]

القرائن التي يستدل بها على أن الحديث موضوع:

ومع تحقق الشروط السابقة في المتن، إذا وجدت قرينة في المتن تدل على أن الحديث ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، حكموا على الحديث بالوضع، ولم يقبلوه ولم يعملوا به، فمن تلك القرائن:

---

[1] مقال محمد الخشوعي أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، "اهتمام المحدثين بالسنة المطهرة"، المكتبة الشاملة.

١–أن يكون الحديث مخالفا لصريح القرآن الكريم مخالفة جلية.

٢–أن يكون الحديث مناقضا للسنة المتواترة، أو مناقضا للأحاديث الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم، مناقضة بينة، بحيث لا يمكن الجمع بينهما بوجه من وجوه الجمع، أما مع إمكان الجمع، فلا يحكم بالوضع، أو يكون الحديث مناقضا للإجماع القطعي.

٣–أن يَعِد الحديث بثواب عظيم على عمل يسير لا يستوجب ذلك الثواب العظيم.

٤–الوعيد الشديد على فعل ذنب من صغائر الذنوب لا يستوجب هذا العقاب الشديد.

٥–أن يكون كلام الحديث لا يشبه كلام الأنبياء، فضلا عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو وحي يوحى.

٦–أن يدعى على النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعل أمرا ظاهرا بمحضر من الصحابة كلهم، وأنهم اتفقوا على كتمانه ولم ينقلوه، كما يزعم أكذب الطوائف أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم، وهو راجع من حجة الوداع، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع، ثم قال: "هذا وصيي وأخي، والخليفة من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا" ، ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغييره ومخالفته، فلعنة الله على الكاذبين.

٧–أن يكون الحديث باطلا في نفسه، فيدل بطلانه على أنه ليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.

٨–ركاكة لفظ الحديث ومعناه، أو معناه فقط. فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة لفظها ومعانيها.

٩–مخالفة الحديث لصريح المعقول، بحيث لا يقبل التأويل.

١٠–أن يكون الحديث بوصف الأطباء والطرقية أشبه وأليق. مثال ذلك: حديث "الهريسة تشد الظهر".

١١–أن يكون في الحديث تاريخ يتعلق بالمستقبل.

١٢—أن لا يكون الحديث موجودا في الكتب بعد أن دونت السنة المطهرة، فإذا جاء أحدبحديث ولم يوجدهذا الحديث في الكتب المدونة، دل ذلك على أنه موضوع. [١]

المبحث الرابع: تأويل السنة النبوية من العقلانيين:

إن المدرسة العقلية قد لعبت دورا مهما في فهم السنة النبوية بطريقة خاطئة، وقد زلت أقلام كثير من المعنيين بالأبحاث الإسلامية ممن يتصدرون التوجيه الإسلامي والإصلاح الاجتماعي والصحوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام، ولا يتهمون في حسن نواياهم نحو الإسلام وتشريعه، ولكنهم أخطأوا في موقفهم من السنة حين أحاطوها بالشبهات وقبلوا منها ما وافق هواهم — ولو كان ضعيفا أو موضوعا — ولم يترددوا في رد الصحيح الثابت منها إذا خالف هواهم، ولو رواه الشيخان، ويؤدي ذلك إلى الاستخفاف بالسنة وتهوين العمل بالأحاديث، وقد ينتهي إلى إنكار بعضها إذا خالفت عقله وفهمه للدين وسياسته للدعوة.

١—الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى (١٩٠٣—١٩٧٩م):

السيد أبو الأعلى المودودي هو مؤسس "الجماعة الإسلامية" بالقارة الهندية وأميرها، وكان كاتبا مجيدا وصحفيا ناجحا وبارعا في الأسلوب، لبقا في الأداء، موفقا في عرض الحلول للمشاكل الناجمة في المجتمع، ومبدعا في تقديم الإسلام إلى غير المسلمين في الأسلوب العصري المتزن.

دخل الأستاذ المودودي خلال كتاباته — وللأسف الشديد — في بعض المواضع الشائكة التي لم يكن يحسنها، فوقع فيما لا تحمد عقباه من الأخطاء والزلات [٢]، من هذه الأخطاء تأويله لبعض الأحاديث مثل:

- تأويل حديث الكذبات الثلاث. [٣]

---

[١] ابن قيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٥٠—٦٤.

[٢] انظر للتفصيل: صلاح الدين، زوابع في وجه السنة، ص١١٩—١٥٢.

[٣] أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، رقم الحديث: ٢٢١٧، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: ٢٣٧١، سنن أبي داود: كتاب الطلاق، باب في الرجل يقول لامرأته: يا أختي، رقم الحديث: ٢٢١٢، سنن الترمذي: أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنبياء، رقم الحديث: ٣١٦٦.

- تأويل حديث سليمان عليه السلام: "لأطوفن الليلة على نسائي".[١]
- تأويل حديث الجساسة.[٢]

٢–الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي رحمه الله تعالى:

كان الأستاذ الإصلاحي من الأعضاء البارزين المتحمسين للجماعة الإسلامية، بل كان يعتبر الرجل الثاني في الجماعة بعد الأستاذ المودودي، إلا أنه اعتزل عنها، وكتب عدة مقالات بين فيها أسباب خلافه مع المودودي ووجهة نظره نحو جماعته، ومن أهم ما يؤاخذ عليه: تأويله أحاديث الرجم وجعلها من الحرابة، وأن الجلد هو الحد الأساسي لجميع أنواع الزناة.[٣]

٣–الأستاذ جاويد أحمد الغامدي:

هو من تلامذة الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي، أخذ على عاتقه نشر أفكاره، وأصدر لذلك مجلة إشراق باللغة الأردية والأخرى باللغة الإنجليزية، وأسس مركزا للتعليم باسم المورد يعلم فيه الشبان المثقفين العلوم الدينية بعقلية متفتحة ومنهج عقلي منحرف، وقد وجد رحابة الصدر وسعة الوقت في القنوات الفضائية لبثّ سمومه وأفكاره، وله تأثير ملموس في الطبقة المثقفة.

وتصور السنة عنده كالآتي: هي تلك السنن التي وجدت في شريعة إبراهيم عليه السلام ونفذها النبي صلى الله عليه وسلم على أفراد أمته بعد إجراء بعض التعديلات كما قال تعالى: {ثم أوحينا إليک أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين}[٤]، والسنن التي يعترف بها هي:

---

[١] أخرجه البخاري ومسلم والنسائي، صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ووهبنا لداود سليمان، رقم الحديث: ٣٤٢٤، صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الاستثناء، رقم الحديث: ١٦٥٤، سنن النسائي: كتاب الأيمان، باب إذا حلف له رجل: إن شاء الله، هل له استثناء؟ رقم الحديث: ٣٨٣١.

[٢] أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه، صحيح مسلم: كتاب الفتن، باب في خروج الدجال، رقم الحديث: ٢٩٤٢، سنن أبي داود: كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة، رقم الحديث: ٤٣٢٥–٤٣٢٧، سنن الترمذي: أبواب الفتن، باب، رقم الحديث: ٢٢٥٣، سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، رقم الحديث: ٤٠٧٤.

[٣] انظر: أمين أحسن اصلاحي، تفسيره تدبر قرآن، فاران اكيڈمی لاهور، ٥/٣٦٤–٣٧٥.

[٤] سورة النحل، الآية: ١٢٣.

١	تسمية الله واستعمال اليد اليمنى عند الأكل	١٤	غسل الجنابة
٢	السلام ورده	١٥	غسل الميت
٣	التحميد عند العطاس وتشميت العاطس	١٦	تكفين الميت
٤	التأذين في أذن المولود والإقامة	١٧	دفن الميت
٥	تقصير الشوارب	١٨	صلاة العيدين
٦	حلق العانة	١٩	التسمية عند الذبح
٧	نتف الإبط	٢٠	أحكام النكاح والطلاق
٨	ختان الذكور	٢١	أحكام الزكاة
٩	قص الأظفار	٢٢	أحكام الصلاة
١٠	طهارة الأنف والفم والأسنان	٢٣	أحكام الصيام وصدقة الفطر
١١	الاستنجاء	٢٤	الاعتكاف
١٢	تحريم الجماع عند الحيض والنفاس	٢٥	الأضحية
١٣	غسل المرأة بعد الحيض والنفاس	٢٦	أحكام[١]

وخلاصة المبحث أن هؤلاء العقلانيين قد فهموا السنة بعقولهم، فما وافقها قبلوها وما لم يوافق عقولهم ردوها أو أوّلوها، وقد يؤدي ذلك إلى إنكار السنة واستخفافها لدى عامة الناس وبالأخص عند المثقفين، وهذا هو الملاحظ عند المحامين والقضاة، وأكبر دليل على ذلك حكم المحكمة الشرعية الفيدرالية باعتبار الرجم تعزيرا وليس بحد من الحدود، ثم أعيد النظر في القضية وصححت بعد إلحاح العلماء وأصحاب المنهج الصحيح، والحمد لله تعالى.

(يتبع)

***

[١] حافظ محمد زبير وحافظ طاهر إسلام عسكري: فكر غامدي، مكتبة خدام القرآن، لاهور، ٢٠٠٧م، ص٣٥.

تفنيد المزاعم

الردة في الإسلام

د. أحمد بن عبد العزيز الحصين

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

أثار الدكتور طارق السويدان قضية الردة في الإسلام في إحدى الفضائيات قائلا: إذا تعارض القرآن والسنة نقدم القرآن، وإذا تعارضت عشرات الآيات مع حديث واحد.. نقدم القرآن.. والقرآن يقول لنا: {لا إكراه في الدين}، و{ادع إلى سبيل ربك بالحكمة}، وهناك حديث واحد يقول: "من بدل دينه فاقتلوه"، فهل نأخذ الحديث ونترك الآيات؟ وماذا نستفيد من قتل مرتد في باكستان؟! هذا الحكم كان في بداية الإسلام!

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الدكتور طارق السويدان ينكر إنكارا واضحا حد الردة، وخاض في بحر عميق لا يعرف أغواره في العلم الشرعي، كما أنه يجهل جهلا تاما أن الإسلام العظيم لم يبتدع هذا الحد، بل سبقته إلى ذلك الأديان السماوية من قبل.

جاء في سفر الخروج ٢٢: ٢٠ قول الرب: "من يقرب ذبائح لآلهة غير الرب وحده يهلك"، وجاء في سفر التثنية ١٣: ٦ قول الرب: "وإذا أضلك سرا أخوك ابن أمك، أو ابنك أو ابنتك، أو زوجتك المحبوبة، أو صديقك الحميم قائلا: لنذهب ونعبد آلهة أخرى غريبة عنك وعن آبائك من آلهة الشعوب الأخرى المحيطة بك أو البعيدة عنك من أقصى الأرض إلى أقصاها، فلا تستجب له ولا تصغ إليه، ولا يشفق قلبك عليه، ولا تترأف به، ولا تتستر عليه، بل حتما تقتله، كن أنت أول قاتليه، ثم يعقبك بقية الشعب، أرجمه بالحجارة حتى يموت"، ترجمة كتاب الحياة.

وورد في سفر الخروج ٣٢: ٢٨ أن الرب أمر نبيه موسى عليه السلام بقتل عبدة العجل من بني لاوي فقتل منهم ٢٣ ألف رجل: "فأطاع اللاويون أمر موسى. فقتل من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل، عندئذ قال موسى للأويين: لقد كرستم اليوم أنفسكم لخدمة الرب، وقد كلف ذلك كل واحد منكم قتل ابنه أو أخيه، ولكن لينعم عليكم الرب في

هذا اليوم ببركة". وورد في سفر التثنية ١٣: ١-٥ أنه لو دعاني إلى عبادة غير الله يقتل وإن كان ذا معجزات عظيمة: "إذا ظهر بينكم نبي أو صاحب أحلام، وتنبأ بوقوع آية أو أعجوبة، فتحققت تلك الآية أو الأعجوبة التي تنبأ بها، ثم قال: هلم نذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ونعبدها، فلا تصغوا إلى كلام ذلك النبي أو صاحب الأحلام، لأن الرب إلهكم يجربكم ليرى إن كنتم تحبونه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم... أما ذلك النبي أو الحالم فإنه يقتل".

وورد في سفر التثنية ١٧: ٢-٧ قول الرب: "إذا ارتكب بينكم رجل أو امرأة، مقيم في إحدى مدنكم التي يورثكم إياها الرب إلهكم، الشر في عيني الرب متعديا عهده، فغوى وعبد آلهة أخرى وسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لأي من كواكب السماء مما حظرته عليكم، وشاع خبره، فسمعتم به، وتحققتم بعد فحص دقيق أن ذلك الرجس اقترف في إسرائيل، فأخرجوا ذلك الرجل أو تلك المرأة، الذي ارتكب ذلك الإثم إلى خارج المدينة، وارجموه بالحجارة حتى يموت".

وجاء في سفر الملوك الأول ١٨: ١٧-٤٠ أن إيليا ذبح في وادي قيشون ٤٥٠ رجلا من الذين كانوا يدعون نبوة البعل: "ثم قال إيليا للشعب: أنا بقيت وحدي نبيا للرب، وأنبياء البعل أربع مائة وخمسون. فقال إيليا: اقبضوا على أنبياء البعل ولا تدعوا رجلا منهم يفلت فقبضوا عليهم، فساقهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك".

وهذا رد على من يتهم الإسلام من أهل الكتاب بأنه دين قائم على سفك الدماء، فهؤلاء لم يقرؤوا كتبهم المقدسة حتى يعلموا ما فيها.

كذلك الدكتور طارق سويدان يجهل ما في الكتب السماوية من حدود فجعله ذلك يحاول الدفاع عن الإسلام، بنفي حد الردة، فإن كان يجهل ما في الكتب السابقة فنحن نتغاضى عن ذلك، أما أن يجهل ما ورد في كتاب الله وسنة نبيه، وهو يتصدر ويتقدم الدعاة إلى الله، فهذه هي الطامة الكبرى.

فالردة ذكرت في القرآن وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإليكم الأدلة الشرعية:

قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه} (المائدة: ٥٤)، وهذه الآية بمثابة إنذار لكل المسلمين في كل عصر ومصر وتحذير لمن توسوس له نفسه أن ينقلب على هذا الدين ويرتد عنه.

وقال تعالى: {إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم} (محمد: ٢٥).

والآية تدل على أن التآمر مع العدو في السر خيانة وارتداد عن الدين، وأن الردة انتكاس على الأدبار، وأن الشيطان يسول للمسلم ليرتد عن دينه، وأن المرتد هو من الطابور الخامس، قال تعالى: {ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} (البقرة: ٢١٧).

وقال سبحانه وتعالى: {إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم} (النساء: ١٣٧). وأهل العلم أجمعوا على أن الردة كفر من أنواع الكفر، وأنها جريمة يقتل صاحبها رجلا كان أم امرأة، تواتر ذلك عن الخلفاء الراشدين وكثير من الصحابة منهم معاذ وخالد وأبو موسى الأشعري وابن عباس رضي الله عنهم جميعا.

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يحل دم امريءمسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتل نفس بغير نفس"، وقال صلى الله عليه وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه". وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يأمر يقتل "أم فروة" حين ارتدت ولم تتب، وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر مولاه قنبر بتحريق طائفة من المرتدين المغالين في حبه، الذين نسبوه إلى الألوهية حين قالوا له: أنت هو، فقال: ومن هو؟ قالوا: أنت الله! فحرقهم في النار حتى الموت، روى البخاري مثل ذلك.

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه أمر خالد ابن الوليد فحرق طائفة من المرتدين في النار حتى الموت، وجاء الخطاب الذي أرسله إليهم محذرا ومنذرا فمن استجاب له وأقر واعترف وعمل صالحا، قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى... أمره أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم في النار.

وإذا ارتد أهل بلد واستعصى أمرهم على إمام المسلمين واستفحل أمرهم، وخيف من نار الفتنة، جاز للإمام أن يأمر بقتلهم وبتحريقهم في النيران حتى الموت كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما أمر خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يحرق طائفة من المرتدين في حروب الردة ولولا حزمه رضي الله عنه لأكلت نار الفتنة من بقي من العرب على دينه.

واعلموا أن:

١—الردة كفر وخروج من الملة والدين فلا يغسل المرتد ولا يكفن ولا يصلى عليه.

٢—والمرتدون كفار لا يجوز مناكحتهم ولا يحل طعامهم.

٣—ويجوز اغتنام أموال المرتدين.

٤—ويحل قتال المرتدين.

٥—ودم المرتدين في كل حين مهدر.

٦—ولا يجوز لإمام المسلمين أن يعفو عن المرتدين.

٧—ولا تجوز الصلاة خلف المرتدين.

٨—ولا يجوز الدعاء للمرتدين.

٩—والردة تفسخ عقد الزواج تلقائيا.

١٠—ويسقط المرتد من تعداد الأمة الإسلامية.

لقد أدت اليهودية دورا قذرا في نشر الارتداد بين المسلمين، ومن أشهر الفرق التي كان لليهود ضلع كبير في ظهورها في عصرنا:

أ—البابية.

ب—البهائية.

ج—القاديانية.

وهناك الردة النظرية والردة العملية:

أ—الردة النظرية: إذا اعتقد المسلم حل أكل الخنزير أو الزنى أو الخمر أو السرقة أو شك في صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أو في الجنة والنار أو البعث والنشور.

ب – الردة العملية: وهي كل قول أو فعل يخرج المسلم عن دينه مثل التعبير بالكتابة أو الرسم أو الإشارة.

أما القوانين الوضعية التي وضعها الاستعمار وطبقت من قبل الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين والمنصرين فإنها لا تعتبر الردة عن الإسلام جريمة بل إنها لا تراها إلا جنحة تستحق التعزير، كما نرى اليوم من المغردين الكفرة وهم يطعنون في الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه رضي الله عنهن.

فالقوانين الوضعية خلت من النص على عقوبة المرتد، فالمرتدون وجدوا أرضا خصبة لنشر إلحادهم وكفرهم باسم حرية الفكر والرأي الحر.

لكن عقوبة الخائن الجاسوس الذي يخون الدولة هي الإعدام!

وأخيرا أمر الله جل وعلا باتباع أحكامه، ونهى عن اتباع ما يخالفها، فقال جل شأنه: {واتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون} (الأعراف: ٣).

والله لم يرخص لمؤمن ولا مؤمنة أن يرضى بحكم غير حكم الله، ولا يتحاكم إلى غير ما أنزل الله، بل أمرهم أن يكفروا بكل حكم غير حكمه، قال تعالى: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به} (النساء: ٦٠).

والله لم يرخص لمؤمن ولا مؤمنة أن يختار لنفسه غير ما اختاره الله له ورسوله من الأحكام، فقال تعالى: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم} (الأحزاب: ٣٦).

(مع الشكر لمجة الفرقان الكويتية: العدد: ٦٧٤)

***

عيوب التلاوة

فضيلة الدكتور عبدالله بن صالح بن محمد العبيد
الرياض

اعلم أن للكتاب العزيز أداء مميزا عن غيره من الكتب و الكلام. لذا تلقّاه صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم مشافهة عن جبريل عليه السلام، ولم يأخذه من كتاب.

وتأكيدا لذلك أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه —وفيهم العشرة والجلة— أن يأخذوه من أربعة. هذا مع كمال فصاحته وفصاحتهم، وكمال بلاغته وبلاغتهم.

فكيف لا يتلقى كثير من حملة العلم اليوم كتاب ربهم تبارك وتعالى عن شيوخ الأداء المتقنين، مع كثرة جهلهم بهذا العلم، وضعف فصاحتهم وبلاغتهم. وهذه جملة من القواعد في العيوب التي يقع فيها هؤلاء [1]

وقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: اللحون الجلية. وقلّ ما يقع فيها الحفاظ.

فمن أشهرها: إبدال الحروف: كإبدال الضاد ظاء أو طاء أو دالا مفخمة.

وإبدال الغين قافا والعكس.

ومنها: إبدال التسهيل هاء في نحو {ءَأعجمي} لحفص كان أو لغيره.

ومنها: اللحن في الإعراب ولو لم يغيّر المعنى نحو {من يتبع الرسول}. بكسر العين.

ومنها: حذف الحرف نحو {فيقول ربي أهانن} بحذف الياء من {ربي}.

ومنها: إحداث حرف نحو {فيقول رب لولا أخرتني} بزيادة الياء في {رب}.

ومنها: إشباع الحركة حتى يتولد منها حرف كإشباع الكسرة في الكاف من {مالک} فيتولد منها ياء.

الثاني: اللحون الخفية:

وهي البحر الذي لا ساحل له، وبمعرفة مواقعها وحذق أصنافها يفضل القراء والعلماء بعضهم بعضا.

[1] أفردت لهذا الباب مؤلفا مبسوطا بعنوان "تنبيه الحفاظ على العيوب في تلاوة أشرف الألفاظ".

فمنها: التنطع في التجويد، والتكلف في التلاوة، حتى تخرج صاحبها إلى القبح واللحن الجلي.

ومنها: تفخيم القراءة كلها على نَسَقٍ واحد من غير تفريق بين مفخم ومرقق.

ومنها: إمالة القراءة كلها كالمتميع المتكسر.

ومنها: التخالف في التلاوة الواحدة، فمرة يقصر الممدود، ومرة يطول، ومرة توفى الصفات حقها، ومرة تنقص، ومرة توفى الغنن، ومرة تنقص. ومرة يحدر، ومرة يترسل.

والصواب أن تكون التلاوة على وزن عادل، وأداء متماثل. فإن هذا هو المنقول أداء عن أئمة القراءة الخَلَف عن السلف.

ومنها: المبالغة في الممدود على المنقول.

ومنها: بتر المدّ وتضييعه، سيما العارض.

ومنها: إشراب حروف المدِّ الغُنَّة أو النفس. [١]

ومنها: مدّ ما لا يمد من الحروف كاللام والميم في نحو {الحمد} والواو في نحو {مالك يوم الدين}.

ومنها: الزيادة أو النقص في نطق المشدد على المقدر.

ومنها: إدغام ما لا يدغم. نحو إدغام الضاد في التاء في {أفضتم}.

ومنها: إظهار ما يدغم. نحو إظهار الدال في {قد تبين}.

ومنها: وقوع عيبين في الساكن: السرعة به حتى يصير متحركا، والتشديد له حتى يزيده ثقلا.

ومنها: الإسراع بالمتحرك وعدم توفيته حقه، سيما إذا تتابع نحو {رأيت أحد عشر كوكبا} أو أوهم انقلاب المعنى نحو {لهدى الناس} و {فقست قلوبهم}. [٢]

ومنها: اختلاس الحروف. نحو {يرثها} و {يعدكم}.

ومنها: إشمام الحروف بعضها بعضا، كإشمام الزاي صوت الصاد في {الرزاق}.

ومنها: عدم بيان حروف الشفة وقفا. نحو الميم في {علم}.

---

[١] فيحدث للمد تغلظ بسبب الغنة، وبحة بسبب جريان النفس معه.

[٢] إذ الإسراع جعل الأول "لَهَدَ" والثاني "فَقَسَ".

ومنها: عدم بيان ما بعد حروف الاستعلاء وقفا، نحو: والعصر.

ومنها: عدم بيان ما بعد الحرف المقلقل وقفا. نحو {القدر}.

ومنها: قلقلة غير المقلقل كالضاد والهمزة.

ومنها: قطع الحرف عما بعده بسكتة خفيفة، نحو السكت على الضاد في {يضربون}.

ومنها: جعل الغنة ياء محضة في نحو {من يقول}.

ومنها: أداء الإخفاء الحقيقي كله على صفة واحدة، وذلك بعدم تصعيد الهواء والحَنَك إلى الخيشوم، وفتح الفم مع بسط اللسان ليجري الهواء في الفم، كما يفعله الأعاجم.

والصواب ما قدّمنا في بابه.

ومنها: تفخيم حروف الاستفال إذا جاورت مفخما نحو الباء في {صبروا}.

ومنها: تفخيم الراء المرققة وقفا كالمتطرفة في {السرائر} وفي {بصير}.

ومنها: تغليظ اللامات المرققة نحو {صلصال}.

الثالث: عيوب النطق.

وهي ثلاثة أنواع:

الأول: ما يمكن إصلاحه وتوقيه بالدُّربة والرياضة، كمن لهجة بلده إبدال الغين قافا، والضاد زايا مفخمة. ومن به عَجَلَة في إخراج الحروف.

الثاني: ما يمكن تصحيح قدر منه، يقلّ ويكثر بحسب قوة الحافظ ودربته، كمن به عُجمة.

الثالث: عيوب خلقية، فطر عليها التالي، لا يقدر على الانفكاك عنها كاللُّثغة [١] والتمتمة. [٢]

فهؤلاء عليهم تصحيح أدائهم بحسب وسعهم وطاقتهم. وعلى قدر صدقهم وبذلهم يكون أجرهم.

***

[١] اللثغة وزان غُرفة، وهي تصيير الراء لاما أو غينا.

[٢] التمتمة التردد في نطق التاء.

آداب إسلامية

آداب الزكاة

(٢)

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

٩- يحسن بالمرء أن يبدأ بالنفقة على نفسه، ثم على أهله، ثم على ذي قرابته، ثم على الأقرب، فالأقرب، لحديث جابر –رضي الله عنه– أنه قال: أعتق رجل من بني عذرة عبدا له عن دبر، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ألك مال غيره؟ فقال: لا، فقال: من يشتريه مني؟ فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي بثمان مائة درهم، فجاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعها إليه ثم قال: ابدأ بنفسك، فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا، يقول: فبين يديك، وعن يمينك وعن شمالك". [١]

١٠– استحباب الإنفاق مما يحب، وأن الصدقة على الأقارب أفضل من الصدقة على غيرهم إذا كانوا محتاجين، فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" قام أبو طلحة –رضي الله عنه– إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله عز وجل يقول في كتابه: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون". وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ ذلك مال رائح، ذلك مال رائح قد سمعت ما قلت فيها، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه". [٢]

١١– ينبغي للرجل أن ينفق على عياله، فمن أنفق على عياله عظم أجره، ومن ضيّعهم، أو حبس نفقتهم عنهم أثِمَ، فعن ثوبان –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله،

---

[١] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة.
[٢] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين الخ.

و دينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله، قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال، ثم قال أبو قلابة: وأي رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عيال صغار يعفّهم، أو ينفعهم الله به، ويغنيهم". [١]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك". [٢]

١٢– يحسن بالمرء أن يصل الأرحام، ويحسن إلى الأقارب، وإنه أفضل من العتق، فعن كريب عن ميمونة بنت الحارث أنها أعتقت وليدة في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك". [٣]

١٣– ينبغي للرجل أن يعتني بأقارب الأم إكراما لحقها، وهو زيادة في برها للحديث المذكور.

١٤– جواز تبرع المرأة بما لها بغير إذن زوجها [٤] للحديث المذكور أيضا.

١٥– إن الصدقة على الأقارب موجب لأجرين، أجر القرابة وأجر الصدقة، لحديث زينب امرأة عبد الله قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تصدقن يا معشر النساء، ولو من حليكن، قالت: فرجعت إلى عبد الله، فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة، فأته، فسله، فإن كان ذلك يجزيءعني وإلا صرفتها إلى غيركم، قالت: فقال لي عبد الله: بل ائتيه أنتِ، قالت: فانطلقت، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاجتي حاجتها، قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقيت عليه المهابة، قالت: فخرج علينا بلال، فقلنا له: ائتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزيء الصدقة عنهما على أزواجهما، وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن، قالت: فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هما؟ قال: امرأة من الأنصار وزينب، فقال

---

[١] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال الخ.

[٢] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك الخ.

[٣] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين الخ.

[٤] شرح صحيح مسلم للنووي ١/٣٢٣.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لهما أجران، أجر القرابة، وأجر الصدقة". [١]

١٦- إن المسلم إذا أنفق على الزوجة، والأولاد، والمملوك وغيرهم ممن تجب نفقته نفقة يريد بها وجه الله تعالى كانت له صدقة، فعن أبي مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة". [٢]

قال النووي: "فيه بيان أن المراد بالصدقة والنفقة المطلقة في باقي الأحاديث إذا احتسبها، ومعناه: أرادبها وجه الله تعالى، فلا يدخل فيه من أنفقها ذاأهلا، ولكن يدخل المحتسب، وطريقه في الاحتساب أن يتذكر أنه يجب عليه الإنفاق على الزوجة وأطفال أولاده والمملوك وغيرهم ممن تجب نفقته على حسب أحوالهم، واختلاف العلماء فيهم". [٣]

١٧- لا بأس بصلة القريب المشرك لحديث أسماء بنت أبي بكر قالت: قلت يا رسول الله! قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد قريش، إذ عاهدهم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: قدمت عليّ أمي، وهي راغبة، أفاصل أمي؟ قال: نعم، صِلي أمكِ". [٤]

١٨- إن الصدقة عن الميت تنفع الميت، ويصل ثوابها، فعن عائشة -رضي الله عنها- أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن أمي افتتلت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم". [٥]

قال النووي: "وفي هذا الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت، ويصل ثوابها، وهو كذلك بإجماع العلماء، وكذا أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدَّين بالنصوص الواردة في الجميع، ويصح الحج عن الميت إذا كان حج الإسلام، وكذا إذا أوصى بحج التطوع على الأصح عندنا، واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم، فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه، والمشهور في مذهبنا أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها، وقال جماعة

---

[١] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين الخ.

[٢] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين الخ.

[٣] شرح صحيح مسلم ١/٣٢٤.

[٤] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين الخ.

[٥] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه.

من أصحابنا: يصله ثوابها، وبه قال أحمد بن حنبل، وأما الصلاة وسائر الطاعات فلا تصله عندنا ولا عند الجمهور، وقال أحمد: يصله ثواب الجميع كالحج". [١]

١٩- ينبغي للإنسان أن ينفق من الحلال، ويمتنع من الإنفاق من غيره، وإن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالا خالصا لا شبهة فيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: "يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا، إني بما تعملون عليم"، وقال: "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك". [٢]

٢٠- ينبغي للمسلم أن يبادر إلى بذل ماله لله تعالى اتقاء النار ولو بشق تمرة لحديث عدي بن حاتم قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل". [٣]

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة الكثيرة ترغب المسلمين في بذل أموالهم لله تعالى وترشدهم إلى أن السبب للنجاة من النار هي الصدقة.

وعندما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، ووعظهم، وحثهم على الصدقة تصدق هذا من ديناره، وهذا من درهمه، وهذا من ثوبه، وهذا من صاع بره، وهذا من صاع تمره امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الحديث عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل، ثم خرج، فأمر بلالا، فأذن وأقام، فصلى، ثم خطب، فقال: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة" إلى آخر الآية "إن الله كان عليكم رقيبا"، والآية التي في الحشر: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد"

---

[١] شرح صحيح مسلم ١/٣٦٤.

[٢] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

[٣] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب لحث على الصدقة ولو بشق تمرة الخ.

تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء". [١]

٢١– إن للمتصدق على سارق، وزانية، وغني أجرا، ففي الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رجل: "لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقة، فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، قال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقة، فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون، تصدق على غني، قال: اللهم لك الحمد على غني، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقة، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون، تصدق على سارق، فأتي فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته". [٢]

قال النووي: "فيه ثبوت الثواب في الصدقة وإن كان الآخذ فاسقا، أو غنيا، ففي كل كبد حري أجر، وهذا في صدقة التطوع، وأما الزكاة فلا يجزئ دفعها إلى غني". [٣]

٢٢– يحسن بالمرء أن يخفي الصدقة لحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله". [٤] الحديث.

---

[١] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة الخ.

[٢] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد فاسق ونحوه.

[٣] شرح صحيح مسلم ٣٢٩/١.

[٤] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة.

قال النووي: "وفي هذا الحديث فضل صدقة السر، قال العلماء: وهذا في صدقة التطوع، فالسر فيها أفضل، لأنه أقرب من الإخلاص، وأبعد من الرياء، وأما الزكاة الواجبة فإعلانها أفضل، وهكذا حكم الصلاة فإعلان فرائضها أفضل وإسرار نوافلها أفضل، لقوله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة". [(١)]

٢٣– يحسن بالمرء أن يتصدق في حال الصحة والشح، ورجاء البقاء، وخوف الفقر، وطمع الغنى، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله! أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان". [(٢)]

٢٤– إذا أنفق العبد على المسكين من مال مولاه بغير إذنه كان الأجر بينهما –أي لكل واحد منهما أجر– لحديث يزيد بن أبي عبيد قال: "سمعت عميرا –مولى أبي اللحم– قال: أمرني مولاي أن أقدد لحما، فجاء مسكين، فأطعمته منه، فعلم بذلك مولاي، فضربني، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه، فقال: لم ضربته؟ فقال: يطعم طعامي بغير أن آمره –وقال مرة أخرى– بغير أمري، قال: "الأجر بينكما". [(٣)]

قال النووي: "هذا محمول على أن عميرا تصدق بشيء يظن أن مولاه يرضى به، ولم يرض به مولاه فلعمير أجر، لأنه فعل شيئا يعتقده طاعة بنية الطاعة، ولمولاه أجر لأن ماله أتلف عليه، ومعنى: "الأجر بينكما" أي لكل منكما أجر، وليس المراد أن أجر نفس المال يتقاسمانه". [(٤)]

٢٥– إذا أنفقت المرأة من مال زوجها، كان لها ولزوجها ولخازنها أجر، لا ينقص كل واحد من أجر صاحبه شيئا، فعن عائشة –رضي الله عنها– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) شرح صحيح مسلم ١/٣٣١، ٣٣٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح.

(٣) رواه النسائي ٥٦، صدقة العبد (٢٥٣٧)، وصححه الألباني.

(٤) شرح صحيح مسلم ١/٣٣٠.

"إذا تصدقت المرأة من بيت زوجها، كان لها أجر، وللزوج مثل ذلك، وللخازن مثل ذلك، ولا ينقص كل واحد منهما من أجر صاحبه شيئا، للزوج بما كسب، ولها بما أنفقت". [١]

وعنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجر بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا". [٢]

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الخازن المسلم الأمين الذي ينفّذ، وربما قال: يعطي ما أمر به، فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه إلى الذي أمر له به أحد المتصدقين". [٣]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه، وما أنفقت من كسبه من غير أمره فإن نصف أجره له". [٤]

قال النووي: "معنى هذه الأحاديث أن المشارك في الطاعة مشارك في الأجر، ومعنى المشاركة أن له أجرا كما لصاحبه أجر، وليس معناه أن يزاحمه في أجره، والمراد المشاركة في أصل الثواب، فيكون لهذا ثواب، ولهذا ثواب وإن كان أحدهما أكثر، ولا يلزم أن يكون مقدار ثوابهما سواء، بل قد يكون ثواب هذا أكثر، وقد يكون عكسه، فإذا أعطى المالك لخازنه، أو امرأته، أو غيرهما مائة درهم أو نحوها ليوصلها إلى مستحق الصدقة على باب داره أو نحوه فأجر المالك أكثر، وإن أعطاه رمانة، أو رغيفا ونحوهما مما ليس له كثير قيمة ليذهب به إلى محتاج في مسافة بعيدة بحيث يقابل مشي الذاهب إليه بأجرة تزيد على الرمانة والرغيف، فأجر الوكيل أكثر، وقد يكون عمله قدر الرغيف مثلا فيكون مقدار الأجر سواء". [٥]

---

[١] رواه النسائي ٥٧، صدقة المرأة من بيت زوجها (٢٥٣٩)، وصححه الألباني.

[٢] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب أجر الخازن الأمين والمرأة إلخ.

[٣] رواه مسلم في كتاب الزكاة، ب باب أجر الخازن الأمين والمرأة إلخ.

[٤] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب أجر الخازن الأمين والمرأة الخ.

[٥] شرح صحيح مسلم ٣٢٩/١.

٢٦– ينبغي للإنسان أن يرغب في النفقة في الطاعة، ويمتنع من الإمساك والبخل وادخار المال في الوعاء، فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنفقي أو انفحي أو انضحي، ولا تحصي فيحصي الله عليك". [١]

٢٧– لا ينبغي للجارة المسلمة أن تمتنع من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها، بل تجوه بما تيسر وإن كان قليلا كفرسن شاة، وهو خير من العدم، وقد قال الله تعالى: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اتقوا النار ولو بشق تمرة" فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة". [٢]

٢٨– ليس من الأدب أن يتصدق المرء بجميع ماله، لأن من تصدق بالجميع يندم غالبا، أو قد يندم إذا احتاج، فعن حكيم بن حزام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الصدقة، أو خير الصدقة عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول". [٣]

وإن التصدق بجميع المال ليس من الإسلام، وإنه لا يحب أن يظل الإنسان بعدما تصدق عائلا يتكفف الناس، ولذلك نجد الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – كره تصدق ثلثي المال أو شطره حين عاد سعدا رضي الله عنه في حجة الوداع. كما في الحديث عن عامر بن سعد عن أبيه قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت، قلت يا رسول الله! بلغ بي ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: لا، الثلث؟ والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس "[٤] الحديث.

قال النووي: وقد اختلف العلماء في الصدقة بجميع ماله، فمذهبنا أنه مستحب لمن لا دَين عليه، ولا له عيال لا يصبرون بشرط أن يكون ممن يصبر على الإضاقة والفقر، فإن لم تجمع هذه الشروط فهو مكروه، قال القاضي: جوّز جمهور العلماء وأئمة الأمصار الصدقة بجميع ماله، وقيل: يرد جميعها وهو مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل: ينفذ في

[١] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الإنفاق وكراهة الإحصاء.
[٢] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الانفاق وكراهة الاحصاء.
[٣] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى الخ.
[٤] رواه مسلم في كتاب الوصية.

الثلث وهو مذهب أهل الشام، وقيل: إن زاد على النصف ردت الزيادة وهو محكي عن مكحول، قال أبو جعفر الطبري: ومع جوازه فالمستحب أن لا يفعله، وأن يقتصر على الثلث.

٢٩– إن الإنفاق على العيال يثاب عليه إذا قصد به وجه الله تعالى، لحديث سعد رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك"[١] الحديث.

٣٠– يحسن بالمرء أن يكون متعففا قانعا راضيا بما تيسر في عفاف وإن كان قليلا، والإجمال في الكسب، وإنه لا يغتر بكثرة ما يحصل له بإشراف ونحوه، فإنه لا يبارك له فيه، وهو قريب من قول الله تعالى: "يمحق الله الربا ويربي الصدقات"، فعن حكيم بن حزام قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى".[٢]

٣١– ينبغي للإنسان أن يبذل الفاضل عن حاجته، وحاجة عياله، وليس له أن يمسكه، لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تُلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى.[٣]

قال النووي: ومعنى "ابدأ بمن تعول" أن العيال والقرابة أحق من الأجانب.[٤]

(يتبع)

***

[١] رواه مسلم في كتاب الوصية.
[٢] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير الخ.
[٣] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير الخ.
[٤] شرح صحيح مسلم ١/٣٣٢.

عبر ومواعظ

ذاك ستر الله

عبدالله حماد البلوى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالجموع غفيرة في جنازة الحسن البصري – رحمه الله – والأعداد هائلة .. فلقد جاء الجميع من كل مكان لتوديع هذا العابد الزاهد، وليواروه التراب .. فتارة يهيلوا عليه التراب، وتارة يمسحوا الدمع الذي انسكب غزيرا ذلك اليوم.

وفي طريق عودتهم من المقبرة .. راحوا يذكرون فيما بينهم مآثره ومحامده.

فمنهم: من راح يذكر زهده وورعه في هذه الحياة.

ومنهم: من راح يذكر كلماته المضيئة، ومواعظه الصادقة التي لم تخطئ يوما طريقها إلى قلوبهم.

ومن تلك الجموع الكبيرة التي شهدت هذه الجنازة ثابت البناني والذي كان كغيره متأثرا لموت الحسن البصري .. وبعد أن تفرقت هذه الجموع .. وذهب كل لحاله تظلله سحابة كئيبة دخل ثابت على إحدى بناته وقلبه يعصره الألم ليصف لها ما رأى في هذا اليوم. فراح يذكر لها الأعداد الكبيرة التي شهدت الجنازة، ومدى حبهم للحسن البصري ومدى تأثرهم لرحيله، وهنا أطرقت هذه البنت الصالحة .. ثم التفتت لأبيها لتقول له كلمات قليلة في عددها .. عظيمة في معناها .. لتصبح هذه الكلمات درسا لكل من سمعها .. وموعظة لكل من وعاها .. لقد قالت: يا أبي ذاك ستر الله عليه .. هنا .. أطرق ثابت وأطرق الكون معه لهذه الكلمات: "ذاك ستر الله" ..

فهل تأملنا هذا المعنى العظيم؟؟

وهل أدركنا هذه النعمة العظيمة؟؟

إنها نعمة الستر ..

وهي نعمة من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى {وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها} (إبراهيم:٣٤).

فهذه إطلالة يسيرة على هذه النعمة العظيمة التي غفل عن تدبرها الكثير.

ولعلنا ندرك بعد قراءتها فضل الله علينا، ورحمته بنا ثم لنشكره على إحسانه، وقد وعد سبحانه بالزيادة لمن شكره. {وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد} (إبراهيم:٧).

أخي الحبيب!

إن كنت تريد أن تدرك حجم هذه النعمة فما عليك إلا أن تنظر إلى الذين هتك الله سرهم وأزال ستره عنهم تأمل كيف أصبح ذكرهم على كل لسان.

يشمت بهم الشامتون..

ويسخر منهم الساخرون..

وهم لا يستطيعون أن يردوا على شامت، أو محتقر أوساخر فهل تحب أن تكون كحالهم هذا، أم تريد أن يقول لك الله في ذلك اليوم العظيم: "إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم" (أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني).

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكثر من سؤال الله تعالى الستر فلقد قال ابن عمر رضي الله عنهما: لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: "اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي" (أخرجه أبو داود وصححه الألباني).

أخي الفاضل!

أتعرف كيف كنت ستصير لولا الستر ؟ كالورقة الذابلة، تصفعها الرياح من كل الجهات لتلقي بها في كل الجهات..

شيء وحيد تبحث عنه.. وتجد في البحث إنه الستر.. ولكن هيهات.. لقد رفعه الله فأنت مرتد أفخر الثياب ومع ذلك عريان منطوي تحت سقف بيتك.. تحوطك الجدران..

وفضيحتك.. علمها في كل مكان.. أتعرف كيف كنت ستصير لولا الستر؟؟ كالجيفة المتننة.. يتأذى منها على بعد كذا وكذا..

إنك بدون ستر الله.. لا شيء لأن مكانتك الاجتماعية ستصبح هباء ووقارك الديني.. ستبعثره الهواء وتغدو أنت وأتفه الأشياء سواء..

أخي الفاضل!

لقد استمعنا كثيرا القصص الذين فضحهم الله.. وفضح أفعالهم القبيحة وأظهر للناس ما كانوا يخفون ويسرون..

فما أحوجنا أن نستلهم من قصصهم المواعظ والعبر لنتجنب الطريق الذي ساروا عليه ونحذر من المصير الذي صاروا إليه {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب} (يوسف:١١١).

فالكل يعلم قصة ذلك الرجل الذي مات ساجدا الفتاة.

الكل يعلم عن تفاصيل ذلك المشهد الأليم الذي ختمت حياته به..

فيا ترى كم ستره الله قبل صنيعه هذا؟؟ كم أخفى أفعاله عن أعين الناس؟؟

حتى جاء اليوم الذي أزيل عنه الستار.. لتبقى قصته بأحداثها المفجعة موعظة يرددها الدعاة ودرسا لكل العصاة.

أيضا تلك الفتاة التي خالفت أمر دينها حين تناست قول ربها: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} (ق:١٨).

فحادثت شابا على الهاتف ودار بينها وبينه ساقط الكلام من غزل وهيام ليسجل صوتها على شريط يتناقله الكثير والكثير حتى وقع بيد أبيها.. فكانت الفاجعة..

فيا ترى كم حادثت شابا قبل هذا الشاب وربها يسترها.. ويخفي قبيح صنعها..!؟

حتى جاء اليوم الذي أصبح الموت فيه أجمل أمانيها..

أخي الفاضل!

ما أقسى الفضيحة ، وماأشد وقعها على الإنسان، وماأصعب اللحظات التي يرى الإنسان نفسه محاطا بنظرات غريبة ساخطة..

وإصبع السبابة لا تفتأ تشير إليه، وكأنها لم تخلق لأحد سواه وقد رسمت الفضيحة على وجهه ذلا وهوانا.. كل نقوشها شاحبة.. وكل ألوانها باهتة..

وللفضيحة في واقع الأمر صور وأشكال:

فربما كانت وقت فعل المعصية .. وذلك بأن يطلع الله الناس على العاصي وهو يقترف الخطأ ويقع في الزلل..

ربما كانت الفضيحة بأن يعلم الناس بعد زمن طويل عن هذه المعصية وهذه الخطيئة ..

وها هو الإمام ابن الجوزي – رحمه الله – يقول: "نظرت في الأدلة على الحق سبحانه وتعالى فوجدتها أكثر من الرمل، ورأيت من أعجبها أن الإنسان قد يخفي ما لا يرضاه الله – عز وجل -، فيظهره الله سبحانه عليه ولو بعد حين، وينطق الألسنة به وإن لم يشاهد الناس، وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق، فيكون جوابا لكل ما أخفى من الذنوب، وذلك ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل، ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ولا استتار ولا يضاع لديه عمل" اهـ. (صيد الخاطر)

وربما ستر الله على الإنسان زمنا طويلا، حتى تأتي تلك اللحظات العصيبة والرهيبة .. هناك عند سكرات الموت .. وذلك حين تختلط الكلمات مع الآهات .. وتمتزج الحروف مع الدموع .. فينطق المرء بنفسه ويخبر بسره الذي أخفاه وذلك من مكر الله: {فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون} (الأعراف: ٩٩)

وتبقى الفضيحة الكبرى: تلك التي تكون على مرأى ومسمع من كل البشر ومن كل الخلق .. حين يفضح الله من عصاه على رؤوس الأشهاد .. {ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم} (هود: ١٨) في يوم رهيب عظيم: {ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود} (هود: ١٠٣).

فمن يستطيع حينها دفاعا أو إنكارا .. عند ذلك يرى الجميع الستر وقد زال .. والسر وقد هتك .. نعوذ بالله من ذلك الحال .. ولكن العجب من أولئك الذين سترهم الله وستر قبائحهم عن أعين الناس، ولكنهم يأبوا هذا الفضل وهذه النعمة فيكشفون بأنفسهم ستر الله عليهم، ويفشوا لمن حولهم سرهم فتراهم يصيبون الذنب والخطيئة في جنح الليل أو في سفرات مشبوهة بعيدة.

وقد كانوا بعيدا عن أعين الناس لم يراهم أحد حتى إذا جالسوا الأحباب والأصحاب بدأوا يقصون عليهم ما فعلوا وما اقترفوا في خلواتهم وفي سفراتهم ولأجل أن فعلهم قبيح

وازداد قبحا بمجاهرتهم به كان العقاب أليما وشديدا، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملا، ثم يصبح قد ستره ربه، فيقول: - يا فلان — قد عملت البارحة كذا وكذا، فيبيت يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه". (أخرجه مسلم)

أخي الحبيب!

كان السلف — رحمهم الله — يخافون الله خوفا عظيما فهم على فعلهم للصالحات واجتنابهم للسيئات إلا أنهم يخشون الفضيحة ويسألون الله أن لا يكشف عنهم ستره فهذا رجل يذكر أحد العلماء الأجلاء ويصفه بالصفات الحميدة، فيقول هذا العالم له: نحن مذنبون مقصرون لولا ستر الله علينا لافتضحنا..

فماذا عسانا أن نقول نحن؟؟ والله لنحن أولى أن يقول كل منا:

والله لو علموا اقبيح سريرتي ... لأبى السلام على من يلقاني
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي ... ولبؤت بعد كرامة بهوان
لكن سترت معايبي ومثالبي ... وحلمت عن سقطي وعن طغياني

فأي فضل هذا الذي نرفل فيه؟؟ بل وأي عطاء هذا الذي أكرمنا به الله؟؟

حين ستر عن أعين الناس قبيحنا.. وأظهر لهم حسننا.. فهلا رجوع وندم قبل زوال هذه النعم.. هلا دعتنا هذه الإطلالة اليسيرة على هذا الجود الإلهي العظيم أن نستحيي ونخجل من نظر الله لنا ونحن نعصيه.. بل ونجعله أهون الناظرين إلينا...

وهل سأل كل واحد نفسه حتى متى يسترني الله وأنا سادر في ملذاتي وشهواتي؟؟

حتى متى أغيب عن نظر الجميع، والله بي وبهفواتي عليم.. فهيا نجدد العهد مع الله.. ونكبح جماح هذه النفس.. قبل أن تكشف العيوب وتزول الأستار ويحل الندم، هيا لنعلنها توبة صادقة نمحو بها زلة سالفة قبل ذلك النداء العظيم {يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية} (الحاقة: ١٨).

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.

***

حلية طالب العلم

أدب الطالب مع شيخه

(٣) د. بكر بن عبد الله أبو زيد

١٨- رعاية حرمة الشيخ:

بما أن العلم لا يؤخذ ابتداء من الكتب بل لابد من شيخ تتقن عليه مفاتيح الطلب، لتأمن من العثار والزلل، فعليك إذاً بالتحلي برعاية حرمته، فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح والتحصيل والتوفيق، فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال، والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنبا الإكثار من السؤال لاسيما مع شهود الملإ، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل، ولا تناديه باسمه مجردا، أو مع لقبه كقولك (يا شيخ فلان) بل قل (يا شيخي، أو يا شيخنا) فلا تُسَمِّه فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بعد من غير اضطرار. وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير صلى الله عليه وسلم في قوله: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا} الآية. وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطينية "يا فلان أو يا والدي فلان" فلا يجمل بك مع شيخك.

والتزم توقير المجلس، وإظهار السرور من الدرس والإفادة به.

وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك، فإنه سبب لحرمانك من عمله، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالما. واحذر أن تمارس معه ما يضجره، ومنه ما يسميه المولدون "حرب الأعصاب"[1] بمعنى امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل.

وإذا بدا لك الانتقال إلى شيخ آخر فاستأذنه بذلك، فإنه أدعى لحرمته وأملك لقلبه في محبتك والعطف عليك.

[1] معجم التراكيب لأحمد أبو سعد ص ٢٨٣: تركيب مولد.

إلى آخر جملة من الآداب يعرفها بالطبع كل موفق مبارك وفاء لحق شيخك في "أبوته الدينية"، أو ما يسميه القانون الإيرلندي باسم "الرضاع الأدبي" [١]، وتسمية بعض العلماء له "الأبوة الدينية" أليق، وتركه أنسب.

واعلم أنه بقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح وبقدر الفوت يكون من علامات الإخفاق.

تنبيه مهم:

أعيذك بالله من صنيع الأعاجم والطرقية، والمبتدعة الخلفية، من الخضوع الخارج عن آداب الشرع من لحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف، والقبض على اليمين باليمين والشمال عند السلام كحال تودد الكبار للأطفال، والانحناء عند السلام، واستعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة، سيدي، مولاي، ونحوها من ألفاظ الخدم والعبيد.

وانظر ما يقوله العلامة السلفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري م سنة ١٣٨٠هـ رحمه الله تعالى في "البصائر" فإنه فائق السياق. [٢]

١٩- رأس مالك -أيها الطالب- من شيخك:

القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله، أما التلقي والتلقين، فهو ربح زائد، لكن لا يأخذك الاندفاع في محبة شيخك فتقع في الشناعة من حيث لا تدري، وكل من ينظر إليك يدري، فلا تقلده بصوت ونغمة، ولا مشية وحركة وهيئة، فإنه إنما صار شيخا جليلا بتلك فلا تسقط أنت بالتبعية له في هذه.

٢٠- نشاط الشيخ في درسه:

يكون على قدر مدارك الطالب في استماعه، وجمع نفسه، وتفاعل أحاسيسه مع شيخه في درسه، ولهذا فاحذر أن تكون وسيلة قطع لعلمه بالكسل والفتور، والاتكاء، وانصراف الذهن وفتوره.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى [٣]:

---

[١] مقاصد الشريعة لجلال الفاسي ص ٣٣.

[٢] آثاره: ٤/ ٤٠-٤٢.

[٣] الجامع ١/ ٣٣٠.

(حق الفائدة أن لا تساق إلا إلى مبتغيها، ولا تعرض إلى على الراغب فيها، فإذا رأى المحدث بعض الفتور من المستمع، فليسكت، فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهم المستمع.

ثم ساق بسنده عن زيد بن وهب، قال: قال عبد الله: حدث القوم ما رمقوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فترة فانزع). اهـ

٢١- الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة:

وهي تختلف من شيخ إلى آخر فافهم، ولهذا أدب وشرط:

أما الأدب: فينبغي لك أن تعلم شيخك أنك ستكتب أو كتبت ما سمعته مذاكرة.

وأما الشرط: فتشير إلى أنك كتبته من سماعه من درسه. [١]

٢٢- التلقي عن المبتدع:

احذر (أبا الجهل) المبتدع، الذي مسّه زيغ العقيدة، وغشيته سحب الخرافة، يحكم الهوى ويسميه العقل، ويعدل عن النص، وهل العقل إلا في النص، ويستمسك بالضعيف ويبعد عن الصحيح، ويقال لهم أيضا "أهل الشبهات" [٢] و "أهل الأهواء"، ولذا كان ابن المبارك رحمه الله تعالى يسمي المبتدعة: "الأصاغر" رواه الخطيب في الجامع. [٣]

وقال الذهبي رحمه الله تعالى [٤] "إذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث، وهات (العقل) فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه وابرك على صدره واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه" اهـ.

وقال أيضا رحمه الله تعالى [٥] "وقرأت بخط الشيخ الموفق قال: سمعنا درسه -أي ابن أبي عصرون- مع أخي أبي عمر وانقطعنا، فسمعت أخي يقول: دخلت عليه بعد، فقال: لم

---

[١] الجامع: ٢/٣٦-٣٨.
[٢] الجامع: ١/١٣٧.
[٣] منهاج: السنة النبوية.
[٤] السير: ٤/٤٧٢.
[٥] السير: ٢١/١٢٩.

انقطعتم عني ؟ قلت: إن ناسا يقولون: إنك أشعري، فقال: والله ما أنا أشعري هذا معنى الحكاية" اهـ.

وعن مالك رحمه الله تعالى قال[1] "لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به" خرجه الذهبي في السير.

فيا أيها الطالب! إذا كنت في السعة والاختيار، فلا تأخذ عن مبتدع : رافضي، أو خارجي، أو مرجئ، أو قدري، أو قبوري، ... وهكذا، فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال —صحيح العقد في الدين، متين الاتصال بالله، صحيح النظر، تقفو الاثر— إلا بهجر المبتدعة وبدعهم. وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة بإجهاز أهل السنة على البدعة، ومنابذة المبتدعة، والابتعاد عنهم كما يبتعد السليم عن الأجرب المريض، ولهم قصص وواقعات يطول شرحها، لكن يطيب لي الإشارة إلى رؤوس المقيدات فيها:

فقد كان السلف رحمهم الله تعالى : يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم، ورفض المبتدع وبدعته، ويحذرون من مخالطتهم، ومشاورتهم، ومؤاكلتهم، فلا تتوارى نار سني ومبتدع، وكان من السلف من لا يصلي على جنازة مبتدع، فينصرف، وقد شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم "م سنة ١٣٨٩هـ" رحمه الله تعالى، انصرافه عن الصلاة على مبتدع، وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، وينهى عن حكاية بدعهم، لأن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة، وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة .. للمبتدع عند الاضطرار، لأنه باغ، لقول الله تعالى: {فمن اضطر غير باغ} الآية، فهو باغ ببدعته.[2]

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالك رحمه الله تعالى مع من سأله عن الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور "أظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج".

وأخبار السلف متكاثرة في النفرة من المبتدعة وهجرهم، حذرا من شرهم، وتحجيما لانتشار بدعهم وكسرا لنفوسهم حتى تضعف عن نشر البدع، ولأن في معاشرة السني للمبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعامي: والعامي مشتق من العمى فهو بيد من يقوده غالبا.

---

[1] السير: ٨/٦١.

[2] الفتاوى: ٢٨/٢١٨ انظرها فهو مهم.

ونرى في كتب المصطلح وآداب الطلب، وأحكام الجرح والتعديل: الأخبار في هذا.[١]

فيا أيها الطالب! كن سلفيا على الجادة، واحذر المبتدعة أن يفتنوك، فإنهم يوظفون للاقتناص والمخاتلة سبلا، يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول – وهو: "عسل" مقلوب – وهطول الدمعة، وحسن البزة، والإغراء بالخيالات، والإدهاش بالكرامات، ولحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف. وما وراء ذلك إلا وَحَم البدعة ورهج الفتنة، يغرسها في فؤادك، ويعتملك في شراكه، فوالله لا يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم، أما الأخذ عن علماء السنة فالعق العَسَل ولا تسل. وفقك الله لرشدك، لتنهل من ميراث النبوة صافيا، وإلا فليبك على الدين من كان باكيا.

وما ذكرته لك هو في حال السعة والاختيار، أما إن كنت في دراسة نظامية لا خيار لك، فاحذر منه مع الاستعاذة من شره باليقظة من دسائسه على حد قولهم "اجن الثمار وألق الخشبة في النار" ولا تتخاذل عن الطلب، فأخشى أن يكون هذا من التولي يوم الزحف، فما عليك إلا أن تتبين أمره وتتقي شره.

ومن النتف الطريفة أن أبا عبد الرحمن المقرئ حدث عن مرجئ فقيل له: لم تحدث عن مرجئ؟ فقال: أبيعكم اللحم بالعظام.[٢]

فالمقرئ رحمه الله تعالى حدث بلا غرر ولا جهالة إذ بين فقال: وكان مرجئا.

وما سطرته لك هنا هو من قواعد معتقدك عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنه ما في العقيدة السلفية لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني م سنة ٤٤٩هـ قال رحمه الله تعالى[٣]

"ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب

---

[١] منها في: الجامع للخطيب: باب تخير الشيوخ إذا تباينت أوصافهم ١٠/١٢٧. وفي كتاب: منهاج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للسامرائي ص ٢١٥–٢٥٥ وهو مهم، وفي: التحول المذهبي من: الإسفار لراقمه، أمثلة من آثار مخالطتهم.

[٢] الخطيب في جامعه ١/٢٢٤.

[٣] ص: ١٠٠.

ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله عز وجل قوله: {وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره} اهـ.

وعن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن؟ فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعدّ له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبدالله صبيغ، فأخذ عرجونا من تلك العراجين، فضربه حتى دمى رأسه، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد، ثم تركه حتى برأ، فدعي به ليعود فقال: إن كنت تريد قتلي، فاقتلني قتلا جميلا، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري باليمن لا يجالسه أحد من المسلمين. رواه الدارمي.

وقيل كان متهما برأي الخوارج.

والنووي رحمه الله تعالى قال في كتاب الأذكار: باب التبرئ من أهل البدع والمعاصي، وذكر حديث أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة، والحالقة والشاقة متفق عليه. وعن ابن عمر براءته من القدرية رواه مسلم. [1]

والأمر في هجر المبتدع ينبني على مراعاة المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تتنزل المشروعية من عدمها، كما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع. [2]

والمبتدعة إنما يكثرون ويظهرون إذا قل العلم وفشا الجهل، وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها، من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال) اهـ.

فإذا اشتد ساعدك في العلم فاقمع المبتدع وبدعته بلسان الحجة والبيان. والسلام.

---

[1] وانظر أبحاثا مهمة في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ٢/١٣٢، ٥/١١٩، ١٤/٤٥٩–٤٦٠، ٣٦/١١٨.

[2] منها في: مجموع فتاوى ٢٨/٢١٣، ٢١٦–٢١٨.

أدب الزمالة:

٢٣–احذر قرين السوء:

كما أن العرق دساس، فإن "أدب السوء دساس"[1]، إذ الطبيعة نقالة، والطباع سراقة، والناس كأسراب القطا مجبولون على تشبيه بعضهم ببعض، فاحذر معاشرة من كان كذلك فإنه العطب. "والدفع أسهل من الرفع".

وعليه: فتخير للزمالة والصداقة، من يعينك على مطلبك، ويقربك إلى ربك، ويوافقك على شريف غرضك ومقصدك، وخذ تقسيم الصديق في أدق المعايير[2].

١–صديق منفعة.

٢–صديق لذة.

٣–صديق فضيلة.

فالأولان منقطعان بانقطاع موجبهما، المنفعة في الأول، واللذة في الثاني، وأما الثالث فالتعويل عليه، وهو الذي باعث صداقته: تبادل الاعتقاد (في رسوخ الفضائل لدى كل منهما. وصديق الفضيلة هذا "عملة صعبة" يعز الحصول عليها.

ومن نفيس كلام هشام بن عبد الملك "م سنة ١٢٥هـ" قوله[3]:

(ما بقي من لذات الدنيا شيء إلا أخ أرفع مؤنة التحفظ بيني وبينه) اهـ.

ومن لطيف ما يقيد قول بعضهم[4]:

"العزلة من غير عين العلم: زلة، ومن غير زاي الزهد: علة".

***

---

[1] شرح الإحياء: ١/ ٧٤.

[2] محاضرت إسلامية لمحمد الخضر حسين ص: ١٢٥–١٣٦.

[3] طبقات النسابين ص: ٣١.

[4] العزلة للخطابي.

وفيات

رحيل أحد اساتذة الجامعة السلفية

الشيخ محمد حنيف بن عبد الرشيد المدني رحمه الله

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

في فجر يوم الخميس ٢٥/٦/١٤٣٣هـ = ١٧/٥/٢٠١٢م توفي أحد كبار مدرسي الجامعة السلفية الشيخ محمد حنيف بن عبد الرشيد المدني عن عمر يناهض (٦١) عاما، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ونثبت فيما يلي بعض المعلومات عن حياته وأعماله:

هو الشيخ محمد حنيف بن عبد الرشيد بن محمد أشرف، ولد في ٢/١/١٩٥١م في جمبارن الغربية بولاية بيهار. تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة منظر العلوم، بلي رام فور، جمبارن الغربية، ثم التحق بالمدرسة الإسلامية فيض عام بمدينة مئونات بنجن، ودرس هناك لمدة ثماني سنوات، إلى أن تخرج عام ١٩٦٩م، ثم درس في دار العلوم ديوبند في عام ١٩٧٠م. بعد ذلك عين مدرسا في مدرسة فيض عام بمدينة مئو، فقام بالتدريس فيها لمدة إحدى عشرة سنة، وذلك من شهر ديسمبر عام ١٩٧٠ إلى شهر ديسمبر إلى عام ١٩٨١م. وكان يرغب في مواصلة الدراسة في جامعات المملكة العربية السعودية، فقدم طلبه إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتم له ما أراد، فسعد بالدراسة في الجامعة الإسلامية بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، وحصل على شهادة الليسانس. ثم انتقل إلى المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة، التابع لرابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة، وبعد قضاء سنتين في هذا المعهد حصل على شهادة الماجستير في الدعوة والدراسات الإسلامية.

وبعد هذه المرحلة الدراسية الطويلة تم تعيينه مدرسا وداعية بالجامعة السلفية في بنارس، وذلك في فبراير عام ١٩٨٨م.

ومن كبار شيوخه في مدرسة فيض عام: الشيخ محمد أحمد المعروف بالناظم، والشيخ عبد الرحمن النحوي، والشيخ شمس الحق السلفي، والشيخ أبو عبيدة عبد المعيد البنارسي،

والشيخ عظيم الله المئوي، والشيخ حبيب الرحمن الفيضي، والشيخ محمد جميل المئوي، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري، والشيخ محمد إسحاق المئوي، والشيخ المقرئ خليل الرحمن المئوي، والشيخ المقرئ عبد السبحان المئوي، رحمهم الله. والشيخ محمد الأعظمي، والدكتور عبد العلي، والشيخ محفوظ الرحمن الفيضي، حفظهم الله.

أما شيوخه في دار العلوم ديوبند فمنهم: الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي، والشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، والشيخ إسلام الحق الأعظمي، والشيخ محمد حسين البهاري، والشيخ نصير أحمد خان بلند شهري رحمهم الله.

وفي شيوخه في جامعة المدينة: الشيخ عبد الفتاح عاشور المصري، والشيخ عبد القادر بن حبيب الله السندي، والشيخ سليمان السوداني، والشيخ عبد الرحم سعد ندا المصري، والدكتور بابكر البدوي دشين السوداني، والدكتور عبد الرحيم القشقري، والدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي، والدكتور عبد الله مراد علي الباكستاني، والدكتور ضياء الرحمن الأعظمي، والدكتور نمر التمر المصري.

وكذلك في معهد الأئمة والدعاة نذكر من شيوخه: الشيخ حسن محمد أيوب، والشيخ محمد بدر الدين، والدكتور محمد بن سعيد القحطاني، والدكتور علي محمد جريشة، والدكتور محمود عبد ربه.

وقد حصل الفقيد على شهادات: المولوي، والعالم، والفاضل (دينيات) والفاضل (أدب) والمنشي، والكامل، من هيئة حكومة ولاية أترابراديش، الهند.

وعلى شهادات: الفوقانية، والمولوي، والعالم، والفاضل (حديث) من هيئة حكومة ولاية بيهار، الهند.

وعلى شهادات: أديب، وأديب ماهر من جامعة أردو، علي كره.

وعلى شهادات: الفضيلة، والتجويد من مدرسة فيض عام بمدينة مئو.

وعلى شهادة الليسانس من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وعلى شهادة الماجستير من المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة بمكة المكرمة.

عمل الفقيد – رحمه الله – نحو عقدين من الزمن في الجامعة السلفية، وكان يـؤثر تدريس مادة الحديث الشريف، والفرائض، والفقه. وكان عضوا في هيئة الإفتاء بالجامعة، وكانت الأسئلة المتعلقة بالميراث والفرائض تفوض إليه، فيقوم بكتابة الرد عليها، كما كان يساهم بمقالاته وبحوثه باللغتين العربية والأردية في مجلة صوت الأمة، العربية الشهرية. ومجلة محدث، الأردية الشهرية.

وقد قام بإعداد وترجمة بعض المؤلفات أيضا، ومن آثاره المطبوعة: "الشيخ منظور الحق الجمكاوي ثم البلي رامفوري"، في ٦٤ صفحة، وهذه الرسالة باللغة الأردية، قام الفقيد فيها بإعداد ترجمة لشيخه منظور الحق.

وقد قام بترجمة أردية لإحدى رسائل العلامة الألباني أيضا.

قد أصيب – رحمه الله – بالشلل النصفي من جسده قبل نحو ست سنوات، فتوقف عن ممارسة العمل لنحو سنة، وبعد علاج طويل تمكن من المشي بواسطة عكازة، فعزم على الرجوع إلى التدريس، وظل يدرس حصتين يوميا، ولكن المرض حال دون عمله، فانتقل بأسرته إلى مدينة مئو حيث يقيم فيها أحد أبنائه، وعاش هناك لمدة سنتين أو أكثر، وهو يعاني من أمراضه، حتى وافاه الأجل المحتوم في فجر يوم الخميس ٢٥/٦/١٤٣٣هـ = ١٧/٥/٢٠١٢م في بيت ابنه في مئو. وقد صلي عليه بعد صلاة العصر من ذلك اليوم، ودفن في إحدى مقابر مدينة مئو. وقد شارك في جنازته ودفنه وفد من أساتذة الجامعة السلفية بنارس، إلى جانب أسرته وأهالي مدينة مئو.

رحم الله الفقيد، وغفر له، وأفسح له في قبره، وأدخله جنات الفردوس. وتقبل جهوده العلمية ومساعيه الدعوية، وعوض عنه، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

***